

— البشر — في نقد المقدمات العشر

تأليف فقير ربه واسير ذنبه

== (عثمان بن منصور) ==

حقوق الطبع محفوظة لـ عثمان بن منصور
عاش أن يرى ذخرا . . . ليوم النفخ في الصور
ويسمى الذنب مغفورا . . . ويغشى الوجه بالنور

طبع : الشركة التونسية للفنون الرسم

الحمد لله الذي رفع كلامه عن ان يوتي بمثله والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 المبين لمراده وفضله وعلى آله وصحبه المبرزين في حلقات الفضائل والمكارم وعلماء
 امته الممهورين للدين بالاخلاص في العمل والعزائم اما بعد فانه اهدى الى الكتاب
 المشتمل على المقدمات العشر للتفسير المستور المنسوب للعلامة الشيخ سيدي الطاهر
 ابن عاشور المسمى « تحرير الفهم السديد وتنوير الفكر الجديد بتفسير القرآن
 المجيد » فطالعه بتأمل واشتياق وتمعنت في رياض حسنه المآقي والاحداق وشكرت
 المهدى الذى هو من فضلاء النشء الجديد على الهدية السارة والسيرة البارة وكنت
 في مطالعته له مونساً بالوحدة غالباً وبعوض الجلساء احياناً فجزت بيني وبينهم
 محاورات فيه وكانت تنتهى بوافق تارة وبخلاف اخرى ربما اشرت لبعضها وكان
 احدهم كلما انتقدت شياً بحضوره قام ضاحكاً منشداً البيت المشهور وهو :

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزلا

فادر كنتي سورة الغضب يوماً ورددت عليه بقولي

كن شجاعاً فسوف ابرز تقدي قاررد السهم ان اردت الجدا

فذهب مغاضباً وصار مني الى الآن هذا صاحب بل الصديق العنيف بعد ان
 ملكنى باحسانه وساعدنى في اوقات الشدة باخلاص لا راغباً ولا راهباً وانا آسف
 لغضبه وجدير بان اتمثل بما كان قاله ابو الطيب في ابى العشائر احد عظماء دولة
 بني حمدان عتاً باله على الاستخفاف بعد التوقير والجنوح الى وضعه في مقام
 التحفير وهو :

ونفسي لم نفسي القداء لنفسه ولكن بعض المالكين عنيف

وهاؤم النقد لا اريد عليه جزاء ولا شكورا ان اصب ولا اوثر اصرارا على
 الباطل ان اخطات ورحم الله من قال :

على اتني راض بان احمل الهوى واخلص منه لاعلى ولا ليا

والله يقيناً مما يخشى منه على الدين والعرض ، وينقذنا من غضبه يوم
 الجزاء والعرض ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

مقدمة الكتاب

هذه كلمات بعضها يتعلق بارشاد المطالعين للكتاب الى الفرق بين الكلامين المنقود والمنقود به وبعضها يتعلق بذكر بعض مقدمات التفسير وان لم نسم بهذا الاسم فاقول كل صفحة من كلام المؤلف عليها نقد يكتب عددها ويوضع تحتها كلامه بين هلالين او نجمتين ثم يذكر تحتها كلام الناقد مفعولا عنه خاليا مما احيط به كلام الاستاذ حتى لا يختلط الكلامان وهكذا الى النهاية

وقد ذكرت في « البشر » جميع المواضع التي يتعلق بها النقد مستوفاة من غير اختصار فكانت ثلاثة وستين مبحثا وذلك لامر من أحدهما مراعاة من ايديهم فارغة من كتاب الاستاذ ثانيهما دفع الاتهام بقصد السوء في التفسير وادعاء جعله سترًا تتوارى خلفه اصابة المنقود وخطا الناقد خصوصا في زمن يرغب اهلنا في ظن السوء بمن لا يرغب في الشهرة ولا يركب للرياء صهوة مهرة فهو اجدر من ابي الطيب بقونه فيه

اتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتينا على الهرم ولذا قال صاحب المناهل العرفان الكتاب الذي كاد ان يبلغ الغاية القعوى في الافادة والاجادة قال لافض فوه ولا خاب قلعه فانا اصبحنا في زمان افتتن كثير من الناس فيه بالاسماء والرتب والاموال والنشب وباتوا لا يعرفون الرجال بالحق انما يعرفون الحق بالرجال فالباطل ان صدر من فلان النساب فهو عندهم حق وزين والحق ان جاء به فلان الخامل فهو عندهم باطل وشين وهكذا اختلت الضوابط واقلبت الموازين اهـ

ويقول الفقير ان الخلق الذي ذكره صاحب المناهل كاد ان يعم الخبيث والطيب فلا تتصله قوله ولا تابه وزارة دولة

حتى الكلاب اذا رات ذابرة حنت اليها وحركت اذناها
واذا رأت يوما فقيرا معدما نبحت عليه وابرزت اناها

ولهذا اخذنا الاحتياط كي لا يغمرنا القبح ولولا هذا لتركنا القل اجتنابا لتوفير المعاليم في وقت ضعف وشح وبعد فان مقدمات التفاسير كثيرة بعضها في كتب خاصة كالآتقان في علوم القرآن للامام السيوطي ومناهل العرفان في علوم القرآن لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بكلية اصول الدين الازهرية وهما كتابان مطبوعان فالاول بحر زاخر وذخر فاخر والثاني فلك نجوم . اشراقها هاد وحركاتها رجوم . الا ان تواضع صاحبها كاد ان يجعل من يتانسون بالتعظيم ويستوحشون

من التواضع كاد ان يجعلهم فيه من الزاهدين وهناك كتب اخرى قديمة استمد منها صاحب الاتقان وزاد عليها ولا ادرى شانها مع الطبع هل دخلت دائرته او نزلت عنها وفي الاتقان ما حوته وزيادة عليه الا ان لها فضل سبق والامداد هذا وان بعض المقدمات التفسيرية ذكرها اصحابها في قوايح تفاسيرهم ولم يفردوها بكتاب خاص ومن اولئك ابن جزى والالوسي والقرطبي وغيرهم ولذلك فنزارة مواد علوم القرآن في التأليف تمكن بالاتقان وما ذكر معه من الاجادة والاتقان والسلام

محاورة حول تسمية كتاب الاستاذ

قد تحدث الناس عن الاسم وهو « تحرير الفهم السديد وتووير الفكر الجديد بتفسير القرآن المجيد » فقالوا انهم فهموا من هذا الاسم ان الكتاب احتوى على تفسير طائفة من آي القرآن خصها الاستاذ بالبحث والتفسير او فقرة تتعلقها بحالة المسلمين الاجتماعية اليوم عموما او خصوصا قصد اصلاحها او لنمو الاختلاف فيها بين المفسرين واختلافها عليهم فاراد كشفها واوضحها وقد منعم من اعتقاد ان الكتاب تفسير كامل كما يدل عليه اسمه صغر حجمه وهم غاضبون على هذه التسمية التي ضللتهم عن موضوع الكتاب وشوقتهم اليه فاشتروه فلم يجدوا فيه ضالتههم التي وعدهم بها اسمه وقد نسبوا بذلك للاستاذ مقاصد تجارية وسياسية والحقيقة في نظري والله اعلم غير ذلك وانه ليس في صنعه الا قصد شريف ويرفم الاشكال انه خفي عليهم ان الامر دائر على حذف مضاف وجعل الباء ظرفية او جعلها سميية ولا حذف وهذا اولي لانه اذا استوى التقدير وعدمه فعدم التقدير اخرى فيكون المعنى على الوجه الاول في مقدمات تفسير الخ وعلى الثاني بسبب تفسير الخ ولنا من الاجوبة ثالث وهو تنزيل هذه المقدمات منزلة التفسير لشدة علاقتها به وقربه منها بروزا فصارت كأنها هو وكأنه هي وهذه فلسفة بلاغية بيانية والاولان فلسفتهم انحوية لغوية والوجه الاخير اقرب لقصد الاستاذ والله المستعان لكن لما صرحت بهاتين الاوجه للبعض منهم اشمازوا وقال زعيمهم في الوقاحة لا يناسبك ان تهزل بعدما بلغت من الكبر عتيا فاجبته انه لا يكون الهزال غالبا الا في هذه السن ولهذا سميتها العرب دقاقة الاعتناق فاعرض بحيا جميلة املاها عليه سوء ادبه وهي لاعجا في صدور خرافة من خرف فقلت اعاذنا الله مما نسبته اليها ما حينئذ وكانت النتيجة اقترافنا من غير وفاق وبعد خطوات ناداني فاجبته فقال خذ مني الجواب الصحيح عن اعتراضنا البلية الفصيح قل ان التسمية اقتضاها حب العمل بما يستحسنه الفكر الجديد وهو ما يسمى بخداع العناوين فقلت كفى وحسبنا الله ونعم المعين

الصفحة الخامسة

« وشهد له الراغب والمختار والحاسد »

وزن الفعل موجود في اللغة الا انه سماعي فلا يصح زيادة هزنته وتثنيه
فيما لم يسمع فيصح ان يصاغ هذا الوزن بزيادتيه فيما سماع فيقال انتصار واقتدار
واستقاد واعتزام من نصر وقدر وقدم وعزم ويكون مثل افتطار وانكاه واضطحاك
خطأ لأنها لم تسمع فقول الاستاذ « المختار » لحن اغوي سبقه إليه شاعر الاشواق
عمر بن الفارض في قوله

وما اخترت حتى اخترت حبك مذهباً وكذا بن عابد بن عابد في تسمية حاشيته
على « الدر المختار » رد المختار ودليل المخطئ عدم وجوده في كلام من يعتمد به في
الاثبات وفي الكتب اللغوية التي منها المختار والعجاج والمصباح ولسان العرب والقاموس
المحيط وشارحه والحكم لأنها تذكر المجرد ومزينة ولا تقتصر عليه لاحتياج
مزيده الى السماع وقد استقدت ما ذكر من مجموع مجلة المنار العلمية لصاحبها
الاستاذ رشيد رضا فليراجع من لم يقنع

« اما بعد فقد كان اكبر امنيته منذ امسد بعيد اقراء تفسير الكتاب المجيد
الجامع لمصالح الدين والدين وهو وثق شديد العرى من الحق المتين »

قرا احد الساردين لفظة « موثق » مخفوضة فلحنه فادعى انه حق مستدلا
بقول ابن مالك

وحذفت رب فجرت بعد بل والفا وبعد الوا وشاع ذا العمل
ومشدا بعده قول امرئ القيس ولبل كدوج البحر ارخى سدوله
فقلت اي علاقة بين البتين وبين هذا الخطا البين فان الاستاذ لم يرد الا
المعنى الذي يساعد عليه الرفع وهو جمعها وصفها لغويا للكتاب المجيد فقل لو اراد
هذا لقال « والموثق الشديد العرى » بالخفض او « والموثق شديد العرى » بنصب
شديد وتكثيره لوجوب التطابق بين النعت والمنعوت في التعريف والتذكير اذ يحسن
ان يقال انتقنا بالرجل العالم والكريم ويقبح ان يقال بالرجل العالم وكريم فقلت
هذا هو الذي يمنعنا من خفض « موثق » لان الخفض على تقدير كيقصد المعنى
وعلى اعتباره نعتا يفضى النحويين فقال ما الحيلة حينئذ فقلت هي ان نقراء
مرفوعا ونجعل خبر الضمير مبتدا عائد على الكتاب المجيد فقال هذا لا يخاو
من ركائة وسوء تعبير وانحطاط ذوق ولكن

اذا ام تكن الا الا سنة مركبا فلا يسمع المضطر الا ركوبها
فقلت لعل تطولينا في هذا البحث او فرر كاكمة

الصفحة السادسة

« وكنت احادث بذلك الاصحاب والاخوان واضرب المثل بابي الوليد بن
رشد في اتمام كتاب البيان ولم ازل كلما مضت مدة يزداد التمني وارجوا نجازة
الى ان اوشك ان تمضي عليه مدة الحياة فاذا الله قد من بالقلم الى خطمة الفتيا
وأصبحت الهمة مصروقة الى ما تصرف اليه الهمم العليا »

اعترض على المؤلف بعض قدماء تلامذته ممن شاركونا في الشيب والهرم
وحكمهم التجارب وانكشفت لهم برعودها المغان بانه تشبه بقاضى قرطبة مع
الفرق بين حالهما اذ ان ذلك القاضى بن رشد تقلدها بالحاح بعد الشروع في تاليفه
الفقهى وفارقها فرحا وهي تندب حظها بخلاف قاضى تونس فانه حن اليها ولم
يقعد به عن تسنمها الى ذلك الوقت الا صغر سنة لان ولاية الشبان في امثالها مفضوب
عليها في ذاك الزمان وتولاها قبل الشروع في تفسيره وامتلا بها سرورا ثم فارقها
مستوحشا اسفا فكيف يصح هذا التشبيه وفي نظرى ان هذا النقد شديد غير شديد
اذ لا يشترط التساوى بين المشبه والمشب به من جميع الجهات والام يصح ان يشبه
الادمى بالاسد او بالبحر وهناك آخرون قالوا ان الناس اعتقدوا انه سيسعى سعيها
حشبا في اصلاح المحكمة الشرعية لشدة تدمره من اجراءاتها وبطئها وسوء ترانيتها
وقلة الضبط واستيلاء الامهال والاهمال حتى صرح بانه يتعمى خطمة كبرى فيها
ليتوجه لاصلاحها من جميع نواحيها وقد شاع عنه هذا بين تلامذته وغيرهم قبل
الولاية فاشتهر بين الخاص والعام ولهذا اشتد الفرح وعظم الطرب وورد على
القرائح الطلاب ففاضت بالتهنئة شعرا ونثرا حتى تجمع لقاضى ذلك العصر ما يملأ
ديوانا لو طبع لكانت له قيمة اديبه حيث كان من شعرائه فخر تونس وبدرها
العلامة الجليل شيخنا الحضر بن الحسين شيخ الازهر الآن متعه اليه بالعاقبة وبهذه
المناسبة فاني اذكر ما علق بذهني من قصيدته ترفيها على القارى وجلبا لمتعته وان
كان قليلا قال لا فاض فوه

فاعد مسود الحياة صباحا	بسط الهناء على الفؤاد جناحا
ما افتر نورك باسماء وضاحا	ايه محيا الدهر انك مونس
خاللا بوجتك المضيئة لاحا	ونعمد ما اوحشتنا في سالف

الى ان قال

امست تمنع كما علمت مزاحا	فاسبد عليها ثوب جدانها
--------------------------	------------------------

ولنعد الى حكاية قول المنتقدين قالوا مكث المؤلف في الحطة مدة الحياة كما
ذكر ولم يظهر عليها اثر ثوب الجدد ولو في دائرتها الخاصة التي يتمكن فيها من

الاصلاح متى اراد بل ازداد سوء الحال وتمكن الياس من الابلال هذا وانى احبب
هؤلاء من غير تحيزا وحمية جاهلية بانه ربما عاقبه موانع لا يقدر على صدها وان
قول الشاعر

ماكل ما يتلغنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
كفيل بابتداء العذر وانما مالنا وهذا المسؤول تلفاه قد كتب قال صاحب
اللمعة ذكرت عرسا وام كان غرسا فالاولى حيث ان تقول فما عني عليه
الزمان واقبره مرور الايام ما قاله الشاعر من الدنيا
فكان ما قد كان ليس بكانين وكنان ما هو كان قد كانا
اذ لا يبقى شي بدار الغرور يوم القيامة كفيل بتمحيص الامور

الصفحة العاشرة

« فلذلك قال العلامة الزنجشيري في خطبة الكشف الحمد لله الذي انزل
القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله على حسب المصالح منجما » فقال المحققون من
شراحه جمع بين انزل ونزل لما في نزل من الدلالة على التكرير البدي يناسب ما
اراده العلامة من التدريج والتعظيم وانا ارى ان استفادة معنى التكرير في حال
استعمال التضعيف للتعدية امر من مستبعات اللام حاصل من طريق عدول
المتكلم البليغ عن التهموز الذي هو خفيف الى المضعف الذي هو ثقيل فذلك
العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما في مثل كلام الكشف قرينة على
ارادة التكرير »

قال بعض الملاحظين انى لا ارى فيما رآه المؤلف شيئا زائدا على ما رآه
المحققون من شراح كلام الكشف وغيرهم وعبارته توهم خلاف ذلك وانه راي
خاص ينبغي ان يسجل باسمه وينسب اليه والحقير يجيب عن هاتمة الملاحظة بان
الاستاذ قد لا يخطر بباله ما فهمه هذا الملاحظ المماكس في التعبير ولو قيلت عوض
« وفي راي » عبارة اخرى تؤدي المعنى المراد من غير ايها لاسترحنا من هاتمة
المماكة وقد يكون اختيارها لما فيها من التعظيم والامر من على كل مسالم

« وعز اشهاب الدين القرافي في اول انواء البروق الى بعض مشائخه ان
العرب فرقوا بين فرق بالتخفيف وفرق بالتشديد فجعلوا الاول للمعاني والثاني
للاجسام بناء على ان كثرة الحروف تقتضى زيادة المعنى او قوته والمعاني لطيفة
يناسبها المخفف والاجسام كثيفة يناسبها التشديد واستشكله هو بعدم اطراده وهو
ليس من التحرير بالمثل اللائق بل هو اشبه باللطائف منه بالحقائق اذ لم يراع
العرب في هذا الاستعمال معقولا ولا محسوسا وانما راعوا الكثرة الحقيقية او
المجازية كما قررناه ودل عليه استعمال القرآن الا ترى ان الاستعمالين ثابتان في

الموضع الواحد كقوله تعالى « وقرأنا فرقناه » قرئ، بالتشديد والتخفيف وقال تعالى حكاية لقول المؤمنين « لا تفرق بين أحد من رسله » وهي تفرقة معنوية لا جسمية كما هو واضح

وقع اختلاف في معاد الضمير فقال البعض هو كلام القرافي وقال غيره هو كلام استاذة وقال آخر يرجع لاحدهما لاعلى التعين وانه قصد به الاجمال جريا على عادة البلغاء وسنة الفصحاء فهو شبه بما قاله بعضهم في اعور خياط يسمى عمرا داعيا له أو عليه مخرجا للدعاء في صورة التمني وهو :

خاط لي عمرو قبا ليست عينيه سوى

ثم ان من قالوا انه عائد على القرافي اختلفوا في متعلق الاعتراض هل هو ذات كلامه او لازمه الذي هو الحديث في كلام شيخه وضعف حرمته عنده وكان الاليق به ان يغضى عن الرلة وخالفه آخر وقال ان كلام القرافي غير صحيح في نظر الاستاذ لذاته لا لاقدم في كلام شيخه وعند ذلك رفعت صوتي وسوطي قائلا ان المحكوم عليه بالنزول في محض غير لائق هو كلام شيخ القرافي قطعاً وما فهمتموه عند اختلافكم في معاد الضمير مجرد وهم لان جعله محل احتمال مقصود للبلغاء ينافي قصد التعليم والبيان والقول بان كلام القرافي معترض لاعتباره عقوقا غير صحيح لان مقام التحقيق ارفع من مقام المجاملة الا مع الاسراف في التشنيع والاقامة على التقرير وقولكم انه غير صحيح لذاته ليس له معنى لان كلام الاستاذ لا ينافيه ولا يصلح ان يكون ردا عليه بل هو كشرح له وايضاح لان كلام القرافي لا ينافي جعله من المطالب واغلبيته وانما ينافي اطراده واستمراره وعدم تخلفه فلم يبق الا وجوب عود الضمير على كلام شيخ القرافي وتوجه الاعتراض عليه وتقول عندئذ ان لشيخ القرافي ان يجيب بان ما اتى في المعاني من نقلها فلتشبهها بالاجسام وما اتى في الجسم من نقلها فلتشبهها بالمعاني وما قلتم من ان العرب راعوا الكثرة في النقل والقلّة في المخفف ليس من التحرير بالمحل اللائق فصار الاولى اعفاء الفلاس من اجهاذه فيما لا طائل تحته والله يهدي من يشاء الى سراط مستقيم

الصفحة الحادية عشر

« وفي عد التفسير علما تسامح اذا العلم اذا اطلق اما ان يراد به نفس الادراك نحو قول اهل المنطق العلم اما تصور واما تصديق واما ان يراد به الملكة المسماة بالعقل واما ان يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل » وهذا غير مراد في عد العلوم واما ان يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وهي قضايا كلية ومباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها

فما هي بكليّة بل هي تصورات جزئية غالبا لانه تفسير الفاظ واستنباط معان فاما
تفسير الالفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظي واما الاستنباط فمن دلالة الالتزام
وليس ذلك من القضية»

من شأن الاستاذ ان لا يجحد عن السبر والتقصية والضبط والاستيعاب ولو
فيما يحسن فيه الاغضاء والافاي مانع من عد التفسير علما ببناء على غير الغالب
في نظره حيث قال بل هو تصورات جزئية غالبا فهذا صريح في انها قد تحسبون
بخلاف ذلك على انه لا يسلم له التسامح في عد التفسير علما ولو الغنا هذا الاعتبار
سواء اريد بالعلم الادراك او التصديق الجازم او المسائل المعلومة اذ كل الحديد في
جوف الفراء ولو اردنا الاستدلال لاجهدتنا الاطالة في القشور وادتنا الى نبش
كتب المنطق والحكمة لتثبت انه علم او غير علم وهل في اطلاقهم وتسميتهم
تسامح او تحقيق ولو قلنا هذا او سودنا صحفا لاثباته او نفيه لا بغضنا الفكر
الجديد الذي يبغض التافه من البحوث فليعذرنا الاستاذ اذ لا يرضيه غضبه وآخر
ما نقول هنا ان الطبقة العليا من علماء المسلمين سموه علما فقولهم اولى بالتقديم
على قول قدماء الحكماء والمناطقه واحق بالمرعاة من اصطلاحاتهم واثارة الاعتراضات
التي لا تخطر الا بال اصحاب المنطق والمقولات خالية من الفائدة لا سيما عند
مراد الاختصار التارك لاجله كثيرا مما تشدد اليه حاجة طالب التفسير ومن طالع
ه الاتقان في علوم القرآن ، عنده الخبر اليقين هذا ومن العجب الاقتصار على ذكر
تفسير ابي عبيدة لبس الاعشى من غير ايضاح بتطبيق الالفاظ على المعنى فهو اولى
من مما كتبه الخلف للسلف في تسمية التفسير علما هذا نظري الكليل وللإستاذ
اجله الله ان يقول

ونكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
ولن سموه علما ان يقولوا البيت ايضا اذا قيل لهم فيه تسامح

الصفحة السادسة عشر

« استمداد العلم يراد به توقيفه على معلومات سابق وجودها على وجود ذلك
العلم عند مدونه لتكون عوناً لهم على اتقان تدوين ذلك العلم عند مدونه لتكون
عوناً لهم على اتقان تدوين ذلك العلم وسمى ذلك في الاصطلاح بالاستمداد على
تشبيه احتياج العلم لتلك المعلومات بطلب المدد والمدد العون والفوات فقرنوا الفعل
بحرفي الطلب وهما السين والتاء »

توقف العلم على معلومات لا ينبغي ان يقال فيه استمداد له كما هو واضح

وانما الاستعداد توجه النفس الى تلك المعلومات والاستخراج منها ما يتأتى به اتفاق ذلك العلم وتدوينه والاصابة فيه بدلالة السين والذاء على هذا المراد فعبارة الاستاذ فيها تسامح اوضح من تسامح المفسرين في تسميتهم التفسير علما واشد منها احتياجا الى الجواب

الصفحة السابعة عشر

« واما استعمال العرب فهو التملى من اساليبهم في خطبهم واشعارهم وامثالهم وعجوائدهم ومخادنتهم ليحصل بذلك لممارسه المولد ذوق يقوم عنده مقام السليقة والسجية عند العربي القح وهذا كما قاله آقا شيء وراء قواعد علم العربية وعلم البلاغة به يحصل انكشاف بعض المعاني واطمئنان النفس لهما وبه يترجح احد الاحتمالين على الآخر في معاني القرآن ومن اجله نرى ائمة التفسير يكثرون من الشواهد من شعر العرب على الاستظهار في معاني القرآن الا ترى انهم لو اطلع احد على تفسير قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء » وعرض لديه احتمال ان يكون عطف قوله ولا نساء على قوله قوم عطف مبين او عطف خاص على عام فاستشهد المفسر على ذلك بقول زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى اقوم آل حصن ان نساء كيف تطمئن

نفسه لعطف المبين دون عطف الخاص على العام »

لا ادرى مراد الاستاذ بهذا الكلام الا بتر عند من لم يتعودوا بممارسة الكلام الغامض اريد انه يستمر داؤة ويعسر دواؤه فيبقى مترددا بين الامر بين الى ما شاء الله وهذا هو الظاهر حيث استبعد الاستاذ الاطمئنان ورأى وقوعه داعيا للعجب كما تدل عليه كلمة « كيف » ام يريد ان الذوق الصحيح الصريح والتهلى من استعمال العرب فحسب هو الذي يدفع حيرته ويقوده الى الحمل المراد في الآية الله اعلم بمراده فما في القلوب لا يدريه الا علام الغيوب ولعلنا قصد ان يقول بعد قوله « دون عطف الخاص على العام » « الا بالالتجاء الى الذوق العربي والعلم منه انه من عطف المبين لا من عطف الخاص عن العام » والذي روى بالكلام في هذا التعقيد جهل المشار اليه وحذف جواب ولو قد بلغنا مقصوده ان شاء الله فان اصنافا بفضلته وان اخطانا فمن صومنا عن اكل الفتق بالعدل عجز الازهدا

الصفحة الثامنة عشر

« قال القرطبي سئل ابن عباس عن السنة في قوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » فقال النعاس وانشد قول زهير
لا سنة في طوال الليل تأخذه
ولا ينام ولا في امرة فند

فما يؤثر عن احمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن تمثل الرجل بيت شعر
ايمان معنى في القرآن فقال « ما يعجبني » فهو عجيب وان صح عنه فاعلمه يريد
كراهة أن يذكر الشعر لاثبات صحة الفاظ القرآن كما يقع من بعض الملاحدة وروى
ان ابن الراوندي « وكان يزن بالاحاد » قال لابن الاعرابي « اتقول العرب لباس
التقوى » فقال ابن الاعرابي « لباس لابس واذا انجى الله الناس فلانجى ذلك الرأس
هيك يابن الراوندي تكرر ان يكون محمد نيا افتكر ان يكون فصيحاً عربياً »

تعجب الاستاذ مما نسب لابن حنبل ولا ينبغي ان يعترض عليه بما ثبت عن
ابن عباس لان ابن حنبل مجتهد ايضا ولان زمنهما مختلف فقتان ما بين عصر
الصحابه وما يقرب منه وبين عصره الذي اشتعلت فيه نيران الفتن وبرز قرن
الشیطان وظهر ابن الراوندي وامثال امثاله فاستحب ذلك الامام طمس معالم
الدين بقول من في قلبه مرض هذا اللفظ غير عربي وذاك المركب غير صحيح
وذلك المعنى لا يعبر عنه العرب بما عبر عنه القرآن وراى التزام الاستدلال على
صحة كلام العرب المخلوقين بكلام رب العالمين فيحسن عنده تفسير ما في البيت
بما في الآية لا العكس قالوا لى بالاستاذ اسقاط قوله فهو عجيب وان صح عنه فاعلمه
الخ ثم لا يعزب عن ذهن اللبيب ان ابن الاعرابي قادر على افحام ابن الراوندي
بغير ما اجابه به لكنه عدل عنه نزولا على المعنى الذي اراده الامام قاصدا تقليده
ان تعاصرا او واقعا عليه من غير قصد ان تقدم او تاخر وساقته اليه الفطرة السليمة
من غير ان يعلم مذهب الامام رضي الله عنه فما اصح علم من تقدم ولا يخفى ان
ورع ابن حنبل وادب سارت به الركب ان هذا لا ينافي طلب الاطلاع على الآثار
العربية من قصص واخبار واشعار ممن يريد التعمق في فهم القرآن لانها شبه
مستودع لثروة لغة القرآن غير ان واجبنا الاكتفاء باعتقاد انه من عند الله سالر
المعاني والآلفاظ صحيح اللغة فصيحها بليغها ولو لم نعلم على ما يؤيده منها في هذا
فاعتأونا بها واجب وجوحنا اليها بالنسبة للقرآن كجنوح ابراهيم عليه السلام الى
رؤية احياء الموتى. صقل الله صائرا حتى ينيرها تبصرة ورجحها عبيدة

الصفحة التاسعة عشر

« ويدخل في مادة الاستعمال العربي ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم كما روى مالك في الموطأ عن عروة ابن الزبير قال « قلت لعائشة وأنا يومئذ حديث السن ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما على الرجل شيء ان لا يعارف بهما فقالت عائشة كلا لو كان كما تقول لكنت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الانصار كانوا يهلون لمناة الطاغية وكانت حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله عن ذلك فانزل الله ان الصفا والمروة الآية هـ » فبينت له مثار شبهة الناشئة عن قوله تعالى « فلا جناح عليهما » الذي ظاهره رفع الجناح عن الساعي الذي يصدق بالاباحة دون الوجوب »

الصدقية وعروة رضي الله عنهما لا يند عن طبعهما ولا يشتبه عليهما مراد الله من آية الصفا والمروة من حيث العربية والاستعمال لان سائغان متساويان لو ان السعي بينهما غير مطلوب سواء قيل ان يطوف او ان لا يطوف وطريقة الاستعمال لا يجعلها عروة وما حمل على اعتقاد ان الطواف بهما غير مطلوب الا جهل سبب النزول فتوهم شبه التناقض بين كونهما من شعائر الله ووقوع الطواف بينهما وبين رفع الجناح على الطائف وبنى عليه جواز الترك لتكون في نزولها فائدة غير معلومة من قبل ولو اقتضرت ام المؤمنين على بيان سبب النزول لكفاها ولكنها زادت ايضا بعد ايضاح فهو يومئذ لا يجعل الاستعمال ويهتدي اليه عند علمه بطلب الطواف وسبب النزول ولو لم تذكره عائشة رضي الله عنها ومحمدا صحيح لولا ذلك وقد وردت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم « ان لا يطوف » عن ابن مسعود فاضطربوا الى حمل لا النافية على الزيادة فرارا من منافاة الطلب الثابت بالسنة فالمثال لا علاقة له بجهل الاستعمال واذا كانت الامثلة غير موضحة لما يراد بيانه او موقعة في اللبس فمن الرشد تركها واقامة الاعتراض عليها ان ذكرت خلافا لمن قال مولعا بالسجع البحث في المثال ليس من داب الرجال وهي دغوى اصقع من الثلج فوق رءوس الجبال وقد راعينا في التنفير منها والصد عنها ذوق الفكر الجديد ولنختتم باتنا راجعا بعض نسخ الموطأ القلمية والمطبعة فلم نجد لمناة وصفا بالطاغية في في كلام عائشة رضي الله عنها فنسبة الاستاذ ذلك اليها اشتباها قطعا

« قال ابن عطية عن عائشة رضى الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن إلا آيات معدودات علمه إياهن جبريل قال معناه في غنيات القرآن وتفسير مجمله مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف قلت أو كان تفسير لا توقيف فيه كما بين لعدى بن حاتم أن الحيط الأبيض والحيط الأسود هما سواد الليل وبياض النهار وقال له انك لمريض الوسادة وفي رواية لعريض القفا »

إني أسألك الأستاذ اجله الله أفلا يجوز أن يكون ما بينه لعدى داخلا فيما ذكر ابن عطية عن أم المؤمنين ويكون ما فهمه عدى جائزا أن يراد من القرآن أولا التوقيف ويكون وصف عدى بعرض الوسادة لاشتغال المراد التوقيفي عند الصحابة وتقصير عدى في الاطلاع عليه والعمل به

« وأما اخبار العرب فهي من جملة ادبهم وانما خصصتها بالذكر تنبيها لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها لان القرآن انما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار لا لان يتحدث بها الناس في الاسمار فبمعرفة الاخبار يعرف ما اشارت له الآيات من دقائق المعاني فتحوقوله تعالى « ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا » وقوله « قتل أصحاب الأخدود » بتوقف على معرفة اخبارهم عند العرب »

لا اظن أن أحدا في عصرنا يقول أن الاشتغال بها غير مفيد ولو قيل ذلك في الماضي فما توهمه الأستاذ غير موجود الآن ويمكن وجوده في المستقبل اذا اعتنى المسلمون باللب واعرضوا عن القشور فتكون نصيحة الأستاذ الآن نافعة لهم في المستقبل أن شاء الله أما في حالتنا فهي غير محتاج إليها فمصرنا عصر الشوق إليها وإلى غيرها من حكايات وروايات وأشعار والأعراض بالقلوب عن كلام الله وحديث من جعله الله رحمة للعالمين فهو جدير بأن يسمى عصر القصص والشعر لا القرآن والحديث نعم نشكر الأستاذ على التحذير عما خافه وتوهم أن بعض الناس وقع فيه فاعتنى به اعتناء خاصا فترغبه مفيد لمن سيأتون أو سوف يأتون ولا ضير في التقديم أن أراد الله - الصلاح وقدر من له في خلقه كل يوم شؤن فحفظ آثار أولئك من حكايات وأشعار غير محدود من اللغو عند أول الحفاضة والاعتبار اما أن تقول أنه يتوقف عليه فهم القرآن ونمثل بالذيتين فلا نوافق عليه حتى على تقدير تزيلها في صحة تصويرها منزلة الأحاديث الصحيحة والأستاذ حفظه الله من أدرى الناس بهذا ويبانه أن ثمرة النبي عن أن يكونوا مثل التي نقصت غزلها لا يجتاحها الجهل بحالتهما الدنية وإن قرع المكذبين الناهضين في آذية الرسول والمعاداة

لأنصاره لا يوهنه أو يهونه جهل كيفية الاحراق وشخصية المحرقين كما انه لا يعسر
المعنى ولا يغمره ويعميها فمن الغرابة ان يجعله الاستاذ مقوما للفهم مع انه لا يعد
علم العقائد والفقه من مواد التفسير خلافا لعبد الحكيم والسيوطي والالوسي فكيف
يتوقف الفهم حيثئذ عن معرفة تلك الاخبار التي لا تخلو صورها من الكذب
المقصود وغيره وان كان لبعضها اصل صحيح بنص القرآن ولولا لجورنا كذبها
لكونها اخبار مشاهدا في امة امية

« واما القراءات فلا نحتاج اليها الا في حين الاستدلال بالقراءة على تفسير
غيرها وانما يكون في معنى الترحيح لاحد المعاني القائمة من الآية او لاستظهار
على المعنى فذكر القراءة كذكر الشاهد من كلام العرب لانها ان كانت مشهورة فلا
جرم انها تكون حجة لغوية وان كانت شاذة فصحتها لامن حيث الرواية لانها لا
تكون صحيحة الرواية ولكن من حيث ان قارئها ما قرأها الا استناد الاستعمال
عربي صحيح اذ لا يكون القاري معتدا به الا اذا عرفت سلامة عربيته كما احتجوا
على ان اصل الحمد لله انه منصوب على المفعول المطلق بقراءة هارون العنكي الحمد
لله بالنصب كما في الكشف وبذلك يظهر ان القراءة لا تعد تفسيراً من حيث هي
طريق في اداء الفاظ القرآن بل من حيث انها شاهد لغوي فرجعت لعلم اللغة »

يوهم كلام الاستاذ انه يوجد من يقول ان القراءة تعد تفسيراً من حيث هي
طريق في اداء الفاظ القرآن وانه راد لهذا القول وغير مقرر له ويوجد من يعدها
تفسير له من حيث انها شاهد لغوي وانه موافق عليه ومنصوب له والذي ادى اليه
اجتهاد هذا المبد الضعيف ان القراءة لم تعد تفسيراً ولا تعد ولن تعد بجميع
وجوهها وكل حشيتها لكنها محتاج اليها ومرغوب فيها ومستعان بها عليها واداة له
وبيان الجيبيات وتحقيقها لا يهم من توجه قلبه للتبصر في معاني كلام الله ولو كان من
انصار الفكر القديم .

الصفحة الواحدة والعشرون

« واما اصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير ولكنهم يذكرون
احكام الاوامر والنواهي والعموم وهي من اصول الفقه فتحصل ان بعضه يكون
مادة للتفسير وذلك من حيثين احدهما ان علم الاصول قد اودعت فيه مسائل
كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة اهمل التنبيه عليها
علماء العرب مثل مسائل الفتحة ١٤٠٠ مقدمات المخالفة ١٤٠١ قد عد الفقه ١٤٠٢ على ١٤٠٣ »

من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن باحكامه فلا حرم ان يكون مادة للتفسير الحجة
الثانية ان علم الاصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في
استنباط المعاني الشرعية من آياتها»

من غوائد اهل الصدر الاول ومن يليه من مدوني العلوم الاسلامية ان لا
يذكروا القواعد المدلولة لجزئياتها ومستفادة منها فياتي من بعدهم ويحوظون
تلك الجزئيات بالقواعد المدلول عليها بكلام السابقين ويضبطون ما ايجملوه فعدم
عدهم له من مواد التفسير ان ثبت من جميعهم لا يدل على انه غم عليهم امرة
وسكوت علماء العربية الاولى اطلعنا على تأليفهم عن تلك المسائل ليس بهمالا لها
وانما كان تركا مقصودا واجتنابا مرادا حتى لا يخلطوا على الناس ويلبسوا ما ارادوه
من بيان معاني مفردات وصيغ جموع او احكام لفظية تتعلق باواخر الكلمات او واسطها
او معان تركيبة بلاغية بالمعاني التركيبية التي تترتب عليها الاحكام الشرعية من
حلال وحرام ووجوه فصل بين الناس اذ تخصص لها فريق مستقل ملقب بعلماء
الاصول وهو مجرد اصطلاح ولو اصطلاحوا على ادخال هذا الفريق في علماء
العربية واطلقوا عليه عنوانهم لما كان في الامر حرج وعابه فعلماء العربية قاموا
بواجبهم المفروض فلا يشينهم الوصف باهمال ما فيه خير كثير والمتقدون عدوه
من مواد التفسير تلويحا ان لم يكن تصريحنا وفقنا الله لفهم اقوالهم وكشف اجمالهم

« وقد عد عبد الحكيم والالوسي علم الكلام في جملة ما يتوقف عليه علم
التفسير قال عبد الحكيم لتوقف علم التفسير على ثبات كونه تعالى متكلمًا وذلك
يحتاج الى علم الكلام وقال الالوسي لتوقف فهم ما يجوز على الله ويستحيل على
الكلام يعني من آيات التشابه في الصفات ولعل هذا التوجيه اقرب من توجيه عبد
الحكيم وكلاهما اشتباه لان كون القرآن كلام الله قد تقرر عند سلف الامة قبل علم
الكلام ولا اثر له في التفسير واما معرقة ما يجوز وما يستحيل فكذلك ولا يحتاج
لعلم الكلام الا في التوسيم في اقامة الأدلة على استحالة بعض المعاني وقد ابنت
لكم ان ما يحتاج اليه المتوسع لا يصير مادة للتفسير »

يقدم في الهجاء اقدار من يوقن بآفتك ولا يستريب

اقتضى النضر الحكم على الرجلين عبد الحكيم والالوسي بالوقوع في الخطا
لكن خطأ الثاني دون خطأ الاول فحشا وهو فوز على الاول لا باس به وبعض
الشراهن من بعض قد يعذر المؤلف في عد كلام عبد الحكيم اشتباها لما ذكره
ولان فهم القرآن وتفسيره متيسر ان لا يتوقفان على اعتقاد انه كلام الله ولان

المفسرين الذين علمنا تفاسيرهم وطالعنا بعضها وكلها لم ينوها على ذكر اثبات صفة الكلام واكتفوا بما في انفسهم وانفس متناوليها من العقيدة ولكن الالوسي لا يصح الحكم عليه بما حكم به على عبد الحكيم لانه علل الاحتياج اليه بما قبوله ضروري فقد يضل الخالي منه عندما ياخذ في تفسير التشابهات فيضل غيره فقد حكى المفسر ابن جزى عن مفسر لم يسمه انه اعاد ضمائر قوله تعالى في سورة « والنجم » « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى » اعادها على الله تعالى وتنزه عن صفات المخلوقين وهنا اسأل الاستاذ متواضعا منحنيا هل كان هذا المفسر المحكي قوله عن ابن جزى محتاجا في التفسير الى علم العقائد او غنيا عنه ثم نستوهم حلمه فقول ان عبد الحكيم المشهور بالايجاز الملحق بالالفاز لعله اراد بقوله لتوقف علم التفسير على اثبات كونه تعالى متكلما جميع الصفات العلية فيتلاقى حينئذ بالالوسي في صعيد واحد ثم ما المضرة في تسليم قولهما والاعضاء عنه على فرض انفرادهما به وصحة بحثه فما في هاتئنا المماكسة الا بعث المرأة على التفسير في اصحاب الفكر الجديد قبل الاستعداد وترشيحهم اليه عند اخذهم نصيبا واقرأ من اللغة العربية وحفظهم لمزاعم الجاهلية وحكاياتنا لانها مما يتوقف التفسير عليها ولا يتوقف على علم العقائد وعلم الفقه في رأي الاستاذ اما رأينا المأمول انه صواب فهو الثناء على العلامتين رحمهما الله فيما رايا

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكي بكاهما فقلت الفضل للمتقدم

« ولم تعد الفقه من مادة علم التفسير كما فعل السيوطي لعدم توقف فهم القرآن على مسائل الفقه فان علم الفقه متأخر عن التفسير وفرع عنه وانما يحتاج المفسر الى مسائل الفقه عند قصد التوسع في تفسيره للتوسع في طرق الاستنباط وتفصيل المعاني تشريعا وآدابا وعلوما ولذلك لا يكاد يحصر ما يحتاجه المتبحر في ذلك من العلوم ويوشك ان يكون المفسر المتوسع محتاجا الى الامام بكل العلوم وهذا المقام هو الذي اشار له البيضاوي بقوله « لا يليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفي الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها »

اريد من الاستاذ ساعه الله وادام الاستفادة من فيضه ان يجيبني على سؤالي الحجل وباتيني رشدي ما قوله في التأليف الحديثة المختصة بالدلالة على احكام شرعية كثيرة موزعة بين معاملات وعبادات ولم تكن سببا لنزول آيات هل صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم بعد تمام نزول القرآن او قبله اي قبل ان تم نزولها فان قال بالاولى اي بعد تمام النزول فهو غير مسلم مما له ادنى صلة

بالعلم لانها شرعت ايضا احكام كثيرة في زمن الرسول ولم ينزل فيها قرآن اصلا وشرعت ايضا احكام كثيرة عرفت قبل نزول قرآنها ولذلك امثلة كثيرة ذكرها في الايقان بعضها متفق عليه وبعضها يختلف فيه من ذلك الوضوء والصلاة والزكاة فانها عرفت من الفعل والقول النبويين قبل نزولها في القرآن فدعوى ان الفقه لم يعرف الا من القرآن مرغوب عنها وان قال بالثاني اي ان بعض الاحكام عرفت قبل نزول القرآن نزل فيها او لم ينزل في شأنها شيء منه فلماذا لا نعده مادة التفسير ونعطيه رتبة الاخبار العربية من العون عليه والآبنة فيه وان من المعلوم ان بعض العلماء افراد الاحاديث القضائية بالتأليف كابن دقيق العيد وابن شعبان وغيرهما ممن نجعله وتعلمه مكتبة الاستاذ العامة ثم قول للاستاذ ان كلام البيضاوي صريح في ان تعاطى التفسير لا يليق الا بمن نال درجة عليا في العلوم التي ذكرها ولو اراد ما فهمه الاستاذ وحمل كلامه عليه لقال لا يليق تعاطيه والتصدي للتكلم فيها اذا اراد اخراج تفسير عظيم جامع الا من برع لكنه لم يقل فوجب حمل كلامه على ظاهره ولا داعي للتأويل عند صحة الظاهر فهو يريد من المفسر ان يكون بارعا في العلوم المذكورة ولو كان ملما متوفرا وقد حملة على هذا الاشتراط هول مقام التفسير والحشية على كلام الله من ان يتعدى من ليس له فيها مقام كبير بدليل الاوصاف التي الحقها بتلك العلوم وهي الدينية والعربية والادبية ولو اراد المتوسم فقط لمراد الطبيعية والفلكية والسحرية والتاريخية على الاقل لان القرآن ذكر النبات والحيوان والكواكب وهاروت وماروت والاقوام الهالكين بتكذيب الرسل من العرب وغيرهم هذا هو الظاهر المنساق مع الطبع ولا يعدم المتكلف طريق الاعتساف ومجاوزة الانصاف جوابا وخاتمة هذا التعليق قولنا ان في القرآن مشكلات ومتشابهات منها ما يتعلق بالعقائد ومنها ما يتعلق بالاحكام فاذا كان المفسر خاليا من علميهما وعرضت له تلك اديات خبط عشواء

الصفحة الرابعة والعشرون

« ثانيا ان لا يتدبر القرآن حق تدبره فيفسره بما يخطر له من بادي الرأي دون احاطة بجوانب الآية ومواد التفسير مقتضرا على بعض الادلة دون بعض كان يعتمد على ما يبدو من وجه في العربية فقط كمن يفسر قوله تعالى « ما اسبابك من حسنة فمن الله » الآية على ظاهر معناها يقول ان الخير من الله والشر من فعل الانسان بقطع النظر على الادلة الشرعية التي تقتضي ان لا يقع الا ما اراد الله غافلا عما سبق من قوله تعالى « قل كل من عند الله او بما يبدو من ظاهر اللغة

دون استعمال العرب كمن يقول في قوله تعالى « وآتينا نمرود الناقة مبصرة فيفسر مبصرة بانها ذات بصر لم تكن عمياء فهذا من الراى المذموم لفساده » يجب ان يقال عند ما يسمم كلام هذا المفسر انه القى نفسه في اليم قبل ان يدر بها على السباحة فصار العطب اقرب اليه من السلامة فلو كان ذا نصيب من علم الكلام الذى ابنى الاستاذ ان يجعله من مواد التفسير لما وقع في الغلط الذى يخشى منه على عقيدته وقد فهمت من كلام الاستاذ هنا رجوعه عما صرح به في صفحة عشرين من تغليط الالوسى في عد علم العقائد من مواد التفسير ولا ضير في النزول عن الخطا بعد ركوبه والرجوع الى الحق بعد ما تبين فذلك شان الابرار وهذا وانى عوضت « ما » في آية « قل كل من عند الله » بـ « من » الجارة لانى وجدها صاحبها في القراءات العشر او لا ولان المعنى يحتم احلال « من » محل « ما » ثانيا وبعد فقد امعنت النظر في قول مفسر « مبصرة » في آية ناقة صالح عليه وعليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام فوجدت خطأ غير الجهل باستعمال العرب لانهم يستعملون لفظ « مبصرة » في كلا المعنيين المعنى الذى اراده هذا المفسر بخطا والمعنى المجازى الذى اهمله وانما اوقعه في الخطا خمود القطنة وكثرة استعمال الكلمة في المعنى الذى حملها عليه فظن ان الحمل على الاكثر اولى اينما وقع ترجيحاً للحقيقة على المجاز وغفلت عن استعمال القرآن في خصوص هذا الموضع فلو قيل انما اوقعه في الخطا ضعف فطنته - وجهله بالمراد - لسلمت العبارة من الانتقاد - لانا لا نصح الا اذا كانت العرب لا تستعمل تلك اللفظة اصلا في المعنى الذى اراده المفسر المفروض - ذو القول المرفوض هذا وليعلم من ارادوا تنوير - الفكر الجديد عموما بان ذوقه بعد الخطا في القاعدة كالحطاي في امثلتها فليخذروا غضبهو البتر بص المستعجلون وليحرم المتاملون

الصفحة الخامسة والعشرون

« ثالثها ان يكون له ميل الى نزعة او مذهب او نحلة فيتناول القرآن على التفاؤل ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحميله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف فيجر شهادة القرآن لتقرير رأيه ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه ما قيد عقله من التعصب عن ان يجاوزة فلا يمكنه ان يخطر بباله غير مذهب حتى ان لم له بارق حق وبدا له معنى يبين مذهب حمل عليه شيطان التعصب حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقدك كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له معنى قوله تعالى « القدوس » انه المنزه عن كل صفات المحدثات حجه تقليد عن ان يتقرر ذلك في نفسه ولو تقرر لتوصل فهمه فيه الى كشف معنى ثان وثالث ولكنه يسارع الى دفع ذلك عن

خاطرة - لناقضته مذهبه وجود الطبع على الظاهر مانع من التوصل للفور ومن
أمثلة ذلك من فسر من الشيعة « ان علينا للهدى » ان ذلك اسم على مضاف لصمير
الجلالة فهذا يمشي مع ما يصلح له الرسم دون النطق وكذلك تفسير المعتزلة قوله
« الى ربها فانظره » بمعنى انها تنتظر نعمة ربها على ان « الى » واحد الالاء مع ما
في ذلك من الخروج عن الظاهر وعن المأثور وعن المقصود من الآية »

وضع المعتزلة المفسرين للآية بما ذكر الاستاذ موضع الشيعة المحرفين لها
بما لا يوافق عليه طبع ولا يسوغه شرع ولا يساعده نطق واحلالهم محلهم في
البعد عن الرشد لا يليق بمن يهوى التحرير . ولا يجازف في التعبير . اذ تفسير
المعتزلة مبني على المبالغة في التنزيه وليس فيه عدول واضح عن الظاهر والا
لقنا تفسير آية « الرحمن على العرش استوى » ان تفسير « استوى » فيها باستولى
على مذهب بعض اهل السنة وبعض المعتزلة خروج عن الظاهر ايضا لكن عدول
اهل السنة عن الظاهر في آية الرؤيا لصحة حديثها عندهم وتواتره بينهم وصحة
اندراجها في الاحاديث التي تفيد بيان القرآن الدافع لصدورها من النبي صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون »
وتأويل المعتزلة للآية لا يختلف معناه بينهم سواء قدروا « الى » اسما او قدروها
حرف جر وقد قالوا بكليهما ولم يخالفوا بين معنييهما بالنسبة لحاصل معنى الآية
عندهم ولا يقر بهم تفسيرهم لها الى الكفر بل هم من الكفر فروا كما قال امام دار
الهجرة في شأنهم اما الشيعة المفسرون « ان علينا للهدى » بما سلف فان تفسيرهم
يكاد يغمسهم في الكفر اذ يصح ان يقال فيه انه تلاعب بالقرآن ، واستخفاف بمراد
الرحمان .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

الصفحة الثامنة والعشرون من المقدمات

« الثاني ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها
الى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انحراف ذهن السامع الى ما هو
المهم عنده والذي يحول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى « من ذا الذي
يشفع من ذل ذي إشارة للنفس بصير من المقربين الشفعاء »

هذا القائل شبهه بمحرف آية « ان علينا للهدى » فالاولى طى مثل هذه
السخافات او تعقبها بالانكار كما فعل ابن الجوزي في كتابه المسمى « نقد العلم

والعلماء او تلبس ابليس » لانه حائم على دائرة - الباطنية او واقع في ساحتها اما بسطه والتوسم فيه وذكر ما سعى امثاله به الشيخ محي الدين قدس سره واستحسانه فقد يفهم منه انه لا بأس به والصوفية لهم شطحات لا ينبغي لامثالنا ان يشاركوهم فيها ولا ان ينكروها عليهم فقد دخلوا مواضع لم ندخلها وعرفوا اسبابا لم نعرفها وفي قصة كلیم الله مع الخضر عليهما وعلى نبينا الصلاة والتسليم الخبز اليقين وقد ذكر عن صالح صوفي قوى البدن ان شاهدا شابان يولم بائسا مريضا طاعنا في السن بالضرب والاهانة فاراد احدهما ان ينقذه منه ويفعل معه مثل فعله مع ذلك البائس الفقير فنهاه رفيقه ثم رده عنه باليس والاسترحام فقبل الصوفي شفاعته وقال له لو علمت يا بني لا ستقلت مني ما رايت ثم انصرف ضاحكا قائلا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت انك جاهل فعذرتك
ثم تبين بعد للشايعين اللذين نصرا ان المعتدى عليه بفتح الدال من اسافل المجرمين السفاكين المفلتين من لقضاء الشرعى الديوى فاقوال الصوفية الحقيقون واعمالهم فوق ادواقنا وبعيدة عنها بعد طيب الريق وعذوبته وبرودته عن افواه البخر المحمومين وابن من اشربت قلوبهم حب رضاء الله ممن قتنا بحب المال والحياة والرفاهية وما احسن في المقام قول استادنا العلامة شيخ الاسلام محمد بن يوسف نعمه الله ان للشيخ محي الدين بن عربي جواهر لا تتمكن منها الا الجسوم الشفافة بارواحها المشرقة

الصفحة الواحدة والثلاثون

« ان القرآن الكريم انزله الله تعالى كتابا لصالح امر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى « وانزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (١) المراد من كل شيء انما هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله غير ان ظاهر كلام الشاطبي وغيره ان ذلك فيما يرجع الى الاحكام وانا لا ارى تخصيص ذلك بذلك

كلام الاستاذ صريح في انه داخل في عموم المفسرين المتفقين على ان المعنى المراد هو كليات الاشياء واصولها فيما يرجع الى ما جاء القرآن لاجله فهو غير راء في الآية رأيا مجديدا فالاولى الآن حمل كلام الشاطبي ومن معه على غير ظاهره كى لا يشذ عن عموم المفسرين ويخرج عن اجماعهم المتعقد بانضمامه اليهم ومن الواجب ان لا يحملهم مقتضى ظاهر كلامهما لانهما لو قيل لهما ايدخل في عموم كل شيء من مشمول الآية ما يرجع الى الاحكام فقط ام يدخل فيه ايضا ما يرجع الى تصحيح العقائد واصلاح النفوس وبقيّة الاقسام الثمانية التي قلها لقالا هذا ما

أردناه لا ذاك وتبرأ من ظاهر عبارتهما وإذا كبا بهما الإفصاح . فمعا على السدال
 بلسان حاله من جناح هذا وإنى لا عجب من الأستاذ سامحه الله حيث أعد للمعاملة
 صاعين أحدهما سمح والآخر شحيح فكال لليضأوى بالسمح وأول كلامه ليخرج
 به إلى موافقته في عد الفقه والعقائد غير محتاج إليهما المفسر الذي لم يسرد التوسع
 خلافا لعبد الحكيم والسيوطي والالوسي وكال لناصر السنة وخضم البدعة ومن معه
 بالميلال الناقص فشح بتأويل كلامهما ولم يعدل به عن الظاهر فابقاهما مخالفين له
 ولبقية المفسرين والاولى ان لا نعاتبه على ما رأه فقد جرت سنة الكون بتفاوت
 حظوظ الناس في دنياهم واخراهم

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه
 اعشى واعشى ثم ذوا بصر وزرقاء اليمامة
 ولا يقتضى عجبنا من صنيعه انكارنا لتوقيعه

الصفحة الثانية والثلاثون

« ولتكون الامة المتلقية للتشريع والناشرة له امة قد سلمت من افن الراي
 عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض اغلال التكالب على الرفاهية ولا عن تلقى
 الكمال الحقيقي اذ يسبب لها خلطه بما يجر الى اضلاله »

ما احسن كلام الاستاذ هنا واجمله فان التكالب على الرفاهية سبب كل بابة ولكن
 تعودها بالتكالبين عن النهوض فيه نظر قوي فانهما من اسباب النهوض المادي قطعاً
 ولولا حبها ما جدت الامم في اعدائها هذا الجهد الذي سد عليها سبل التفكير في
 امر المعاد . وقطعها عن الراحة والظفر ايضا بالمراد . حتى شملها من من ارادهم
 قوله تعالى « يعلمون ظاهرا من الحياة وهم عن الآخرة هم غفلون » نعم يسلم
 كلام الاستاذ فيما يتعلق بالنهوض النفسي الاخلاقي فان التكالب في حبها يقعد بهم
 عنه اذا لولاه ما اكلت الرشا اكلا . وما حب المال حبا جما . ولا خان المؤمن
 واخلف الواعد . ولا رفع المنحط ونزل الصاعد . ولا سفكت الدماء بغير حق .
 ولا عومل المطالب بحقه معاملة غير المحق . ولا جل ذلك فان التكالب عليها لا
 يتحقق انه عائق عن النهوض الا في الاخلاق ولنعد الى ما يتعلق بقوله آخر الصفحة
 « اذ يسبب لها خلطه بما يجر الى اضلاله » فهو غامض جدا وقد كلفني احد
 اصحاب بياننا لى قلم اقدر حيث اتى به مرسوما في ورقة فطلبت منه ان ياتيني

بالكتاب لعل اتوصل الى الفهم بالنظر فيما قبل وفيما بعد، فوقعت على التعليق بآخر الصفحة وقوع الضمان وقلت له دونك التعليق فاقرا تهتد فاحتج بأنه رآه قبل وهو غير محتاج لان ادله عليه وانما يريد بيانه من التركيب الموضح بالتعليق الشبيه بترجمة الاعجمية الى العربية فقلت اليس كافيا في المراد فقال دعني من محاورتك الحالية وبين معاد الضميرين والاعراب فقلت اما الاعراب فنعن فقال ان الجنوح الى السهل طبع فيكم ايها الشيوخ فقلت ذاك جهدي والسلام

الصفحة الثالثة والثلاثون

« ولو لاجشبة التطويل لبسطنا كيف كانت احوال الامم المعاصرة للعرب في ذلك الوقت »

قد بسط المؤلفون من المؤرخين وغيرهم من العلماء ما كانت عليه الامم قبل البعثة عربا وعجماء وانهم كانوا كاسنان الحمار لكن الفساد انواع والمساوي اوزاع والموازنة عسيرة ومن اشنعها وأد البنات وانكار النبوات وقتل الجماعة بالفرد ومقابلة الارشاد بالاذاية والصد وعبادة الجماد . والنذر له بذبح الاكباد . وفي قوله تعالى « يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين بهرتهن يفتريه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبائعهن واستغفر لهن الله غفور رحيم » بيان لبعض مخازي ذلك الوقت في احد الشقين واني اشعر ان وقت الذاكرة انه ذكر العلامة محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله في رسالته التوحيد ما تبشعر من بعضه الجلود وقال بعده ان اسم ذلك العصر لم تكن احسن حالا من الغرب ولم يوهم التفاضل او يقل غير ما يعتقدو في بطون الاسفار ما يملأ النفوس يقينا بتعميم الرحمة في الرسالة المحمدية عند زمن تجرد اهله في احوالهم الفردية والاجتماعية من النظام . وتسارعوا الى العيب وقطع الارحام . فيالها من رسالة عامة كانت رحمة للعالمين اشرق نورها على العرب اذ كانوا احوج الناس اليها ثم اتقل لغيرهم قصيرهم اخوانا متحدين في نصرها ونشرها عاملين بقوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون . بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »

الصفحة الخامسة والثلاثون

« هذا ما بلغ اليه استقراى وللغزالي في احياء علوم الدين بعض من ذلك »

اتني ممن يعتقدون جواز توارد الخواطر كجواز وقوع الحافر على الحافر .
 مثلما قال الحريري ومن يشنون على من يسمع كلام شاعر متأخر فيظن ان
 معاني شعره او بعض الفاظها مسروق من متقدم واضع البقين موضع
 الشك وهذا بمجرد الخطور على البال . لا عن تحقيق واستدلال . فيكون حكمه
 مبني على حب نسبة القصور للتأخر وهذا منشؤه الحسد وحب الطعن وكذلك
 التأليف قد ينال ما ينال الشعر ولذلك صادمت بعض رفقاءي في اعتراضه على
 الاستاذ بان ما ذكره مستمد ومنحوت من كتاب جواهر القرآن لحجة الاسلام
 الغزالي فانه في هذا السيل غاية . وفي الحسن نهاية . وان كتابه لينوع تقتصر
 منه الدلاء . والله يؤيد من عباده من يشاء . فلو قال الاستاذ عوض ما قال وللغزالي
 في جواهر القرآن فيض من ذلك لكان افيد وادل . ولا نوب المولعين بالانهايم
 اركس وادل . وقد اجبت عن الاستاذ بان كلامه لا يقتضي انه استقراى من القرآن
 مباشرة فيجوز ان يكون بواسطة وبدونها واذا كان الامر هكذا فالاعتراض غير
 وجه . ايها صاحب الفقيه

« فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث اما الاقتراع على الظاهر من المعنى الاصلي
 للتركيب مع بيانها وايضاحه وهذا هو الاصل واما استنباط معاني من وراء الظاهر
 تقتضيها دلالة اللفظ والمقام ولا يجاز فيها الاستعمال ولا مقصد القرآن وتلك هي
 مستبغات التراكيب وهي من خبائص اللغة العربية للمباحث عنها في عام البلاغة
 ككون التاكيد يدل على انكار المخاطب وتردده وكفجوى الخطاب ودلالة الاشارة
 واحتمال المجاز مع الحقيقة »

انار رفيقي القديم الذي كنت معه عند سرد هذا الموضوع اعتراضا على عدم
 ذكر علم الاصول بعد علم البلاغة ليفيد المؤلف انه مما يبحث فيه عن الفحوى
 والمطوفين بعدها في علم الاصول لا في علم البلاغة فان ذلك تابسم لعلم الاصول
 الا لعلمها وقد اجبت بانها اراد ذكره وغفل او اختصر اذ لا يخفى على المخاطبين
 ان دلالة النحوى والاشارة مما يبحث عنها فيه وان ذكر قول ابن مالك - وحذف
 ما يعلم جائز - البت يحطم اعتراضك فاحند قائلا سبحانه الله يشيب المرء على ما
 شب عليه انت مولع بالكفاف في الاجوبة وابطال الاعتراضات من حين حضورنا
 بدرس شيخنا العلامة عثمان بن الخوجة رحمه الله وقد مضى على دراستنا نحو

خمس قرن الا ان الفرق بين حالتك ان اجوبتك في عهد الشباب لم تطل من
حرارة اما الآن فهي ثلجية فما اجدرها بان تترصد بالقائها زمن الصيف فقلت
له لا تنس يا اخي ان الحر والقر لهما علاقة بالنس فسكنت حديثه وقال انك
ذكرتني ما انسانيه ما وقف بنا على روضة القبر من شيب وهرم بعد ما تعلمناه عند
اخضرار العود ورواء الشباب فسبحان من قال « ومن نعمة تنكس في الخلق افلا
تعدون » فقلت اتذكر ما ابداه شيخ شيوخنا العلامة سالم
ابو حاجب رضى الله عنه فقال ان في الآية « طوقا مخدوفا » عطفه اى

« والخلق » بضم الحاء واللام وانهم يسمون هذا اكتفاء ومن امثلته قوله تعالى
« سرايل تقيم الحرب » اى والبرد فقال نعم زادك الله يقظا وانى لا زلت اعتقيد
صحة اعتراضى ويمنه ايضا اذ لو لافاتنا هذه الذكرى وهذا التذكير فاحمد الله
على اثارته فقلت نعم فيه يمن وفيه شؤم لانه جربنا الى الخوض في الحذف وفي ذلك
اشعار بقرب حذفنا من دار الغرور فقلت هذا هو اليمين كلمة قمر حبا بما يشمر
بقربنا من لقاء الله فقلت حججتنى جعل الله يومى قبل يومك او قريبا منه ثم كان
الوداع وفي الاخرى يطول ان شاء الله الاجتماع

وحبيب الفتنه فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
وافترقنا حولا ولما التقينا كان تسليمه على وداعا

الصفحة السادسة والثلاثون

« وان بعض مسائل العلوم قد تكون اشد تعلقا بتفسير آى القرآن كما نفرض
مسألة كلامية لتقرير دليل قرآنى مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله تعالى
« لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا » وكنتقرير مسألة التشابه لتحقيق معنى نحو
قوله تعالى والنساء بيناها بايد وهذا كونه من غايات التفسير واضح وكذا قوله
تعالى « او لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها ومالها من فروج » فان
القصدين الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين اسرارها
وعلمها بما هو مبین في علم الحياة كان قد زاد المقصد خدمة »

يؤخذ من كلام الاستاذ انه تراجع عما اسلفه بصفحة عشرين من الانكار
على عبد الحكيم والالوسى رحمهما الله في عدهما علم العقائد من مواد التفسير واذا
كان الظن صادقا وهو الاقرب بل المتحقق لانه سبق هذا ما يفيد رجوعه فصار
هذا الرجوع مستفادا من موضعين فقد سقط القول بان الاستاذ شانه المضى فيما
ارتآه والولوع بقول الحماسى

إذا هم القى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانباً
 وإنه يعد الرجوع منافياً لعلو الهمة ولو بعد تبين الحق فإن قصد بهذا الرجوع
 عما سبق منه بصفحة عشرين فهو فضيلة وإن لم يقصده فقد وقم في التناقض ولا
 يبيده في دفعه أن يقول أن ما ذكرته مما يوهم التناقض في الموضعين إنما هو خاص
 بمن يريد التوسع في التفسير لا لمن يريد التبان المضيق أو المتوسط لأن ما ذكره
 عقب الآيتين مستمد من علم العقائد ومحتاج اليه المفسر سواء أراد الاجمال أو
 التفصيل مطولاً أو موجزاً والحقيقة بنت البحث والتأمل والاتصاف المشرق في كل
 أفق وما على الراجعين اليه بعد التوبة والتكفير عن الحوبة من بخس ولا رهق

الصفحة السابعة والثلثون

وأما أبو اسحاق الشاطبي فقال في الفعل الثالث من المسألة الرابعة « لا يصح
 في مسلك الفهم والافهام إلا ما يكون عاماً لجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما
 يقدرون عليه وقال في المسألة الرابعة من النوع الثاني - ما تقرر من أمة الشريعة
 وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب تنبني عليه قواعد منها أن كثيراً من
 الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فاضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين
 أو المتأخرين من علوم الطليعات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف واشباهها وهذا
 إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح فإن السلف العالِم كانوا اعلم بالقرآن وعلومه
 وما أودع فيه ولم يلقنا أن أحداً منهم تكلم في شيء من هذا سوى ما ثبت فيه من
 أحكام التكليف وأحكام الآخرة نعم تضمن علوماً من جنس علوم العرب وما هو على
 معهودها مما يتعجب منه أولو الأبواب ولا تبلغ ادراكات العقول الراجحة الخ »

أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ علامة
 زمانه عرف بين العلماء بغزارة العلم وقوة الحجة وعلو الهمة والتقوى والزهد
 وصحة البصيرة تخرج عنه علماء أفذاذ منهم ابن عاصم صاحب التحفة القاضي
 بالاندلس وأخوه وغيرهما من المشاهير وأخذ على أعظم علماء وقته مثل سعيد
 بن لب وفاقهم وله تأليف أشهرها « المواقفات » وهما كتابان من
 ذخائر الاسلام ومفاخرة قال فيهما العلامة المنعم الشيخ رشيد رضا صاحب
 مجلة المنار الدينية العلمية المشهورة عند أكابر العلماء قال « هما كتابان صالحان
 لبث الحياة في الأمة الاسلامية ورجعها الى اخلاق السلف يفوقان العدد الكثير من
 مجلداتها وقد جبرت بينه وبين علماء عصره من الاندلس وغيرها مناظرات في
 مسائل علمية حالفه فيها التفوق ومن المناظرين له الامام ابن عرفة وليس المقصد

استيفاء الترجمة فهي في كتبها بل الفات النظر الى الكتابين ثم ذكر علامة تونسي
في شأنهما وهو اخونا الروحي الاستاذ محمد بن سليمان المتوفي سنة ١٣٧٠ قد قال لي
ولغيري مرات «مهما طالعت سفر من الغزالي او ابن العربي او ابن رشد او الشاطبي
الاطولته وفي نفسي جروح عن تسليم بعض الآراء وقد اسلم بعد رسوبها وقد
استمر مخالفا لامع الشاطبي فاني استسلم بعد النظر فقلت انت في نظرك لرأيي
كنظر ابي نواس لوجهه ووصوفه حين قال
يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته نظار

فقال نعم احسنت جدا هذا وابن سليمان علامة نظرا صحيح النقد قعد به
ميله الى العزلة واقته وبرهده عن ان يشار اليه بالاصابع وهو ايضا اديب ماهر
موفق متفوق رحمه الله وجمعنا به في دار السلام

الصفحة الثمانية والثلاثون

« وهذا مبني على ما اسسه من كون القرآن لما كان خطابا للاميين وهم العرب
فانها يعتمد في مسلك فهمه وافهامه على مقدرتهم وطاقتهم وان الشريعة امية وهو
اساس واه لوجوه احدها ان ما بناء عليه يقتضي ان القرآن لم يقصد منه اتقال العرب
من حال الى حال وهذا باطل لما قدمناه قال تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا الثاني ان مقاصد القرآن راجعة لعموم
الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد ان يكون فيه ما يصلح لان تتناولها افهام من ياتي
من الناس في عصور انتشار العلوم في الامة الثالث ان السلف قالوا ان القرآن لا
تقتضي عجائب يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لاقتضت عجائبه بانحصار انواع
معانيه الرابع ان من تمام اعجازه ان يتضمن من المعاني مع اعجاز لفظه ما لم تقف
به الاسفار المتكاثرة الخامس ان مقدار افهام المخاطبين به ابتداء لا يقتضي الا ان
يكون المعنى الاصلي مفهوما لديهم فاما ما زاد على المعاني الاساسية فقد يتهيأ لفهمه
اقوام وتحجب عنه اقوام ورب حامل فقه الى من هو افقه منه . السادس ان عدم
تللم السلف عليه ان كان فيما ليس راجعا لمقاصده فيحزن نباعد عليه وان كان فيما
يرجع لمقاصده فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا
وفرعوا فكان ذلك في علوم عنوا بها ولا يمنعه ذلك ان تقفي على آثارهم في علوم
اخرى راجعة لخدمة المقاصد القراءانية او لبيان سعة العلوم الاسلامية » الحمد لله
على انتهاء اوجه الرد التي كدنا ان لا نخالها تنتهي الا عند انتهاء الكتاب ولولا خوف
الغفلة لا حلنا المطالعين في ردها على مراجعة كلام الشاطبي والتأمل منه عند التوقف

في قضاها فانهما كفيلا نبرد هذه الاعتراضات لكن لا بد من البيان والسبر على قدر طاقة الضعفاء وان كان الاقوياء والمتوسطون غير محتاجين اليه والله المستعان الوجه الاول من الواجهة الستة يرد بان كلام الشاطبي لا يقتضي بحال ان بقاء العرب على ما كانوا فيه من الضلال مراد للقرآن وان القرءان ياتي انتقاهم عن تلك الحالة ولو كان ما نسب الاستاذ لعبارة الشاطبي صحيحا حكم علماء عصره عليه بفسق الاعتقاد ان لم يحكموا بكفرة لكنهم لم يفعلوا لان صريح عبارته قريب من تفسير قوله تعالى «لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» ومصدق قول صاحب البردة

لم يمتحننا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهر

ولم ادروجه الرد بقوله تعالى «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا» الا اذا قدرنا توهم الاستاذ ان الشاطبي قال «ان القرآن ياتي خروج العرب عن ضلالتهم وانتقاهم عما كانوا عليه قبل نزوله» لكن نقشنا عن هذا فلم نجد له اثرا في كلام الشاطبي وغاية ما يرمى الله كلامه انه يسر فهمه للامتين ولم يقصره على العلماء والحكماء والمكتشفين والمخترعين ولينظر المريب الى قوله تعالى في سورة الانعام «قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشرکوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق نحن نرزم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده وافقوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا سراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون» ومثل هذه الآيات غالب القرآن كسورة العصر مثلا فالهداية بها لمن وفقه الله وفهم المراد منها شاملا ولو كان غالب القرآن من نوع المشابه لكسبنا في فهمه الاميون ولم يحصل من تاثيره في اصلاح النفوس واشراقها ما حصل فهذا ايضا مما عناه الشاطبي بقوله الذي اسلف نقله الاستاذ وعده اساسا واهيا وغضب لاجله غضبة مضرية كانت عند ضعفاء العقول قبلة ذرية سقطت على مقرابي اسحاق فصيرته اثرا بعد عين الرد على الثاني من الواجهة ان يقال فيه انه او هي من الاول حيث ان ناصر السنة لم يقل ان الدعوة خاصة بالاميين العرب فلا يتحمل دليلها وهو القرآن ما يدق عن افهامهم الان وغدا وبعد غد الى يوم القيامة ولو اتى من ذريتهم او غيرها من لم علم الحضر وحكمة لقمان وعقائد الما تربدى والاشعري

وفقه مالك والنعمان فنزید حیث شد علی رد المؤلف ونقول سألک الله یا صاحب
 « الاعتصام » و « المواقفات » هذه ظلمات بعضها فوق بعض وأما الجواب علی الوجه
 الثالث من أوجه الرد فيقال ان الشاطبي ربما لا یسلم ان ما ذكره الاستاذ قول
 السلف وعلی فرض تسلیم سلفته فلا یسلم ان عجائبه محصورة فی كثرة معانيه وإذا
 یسلم هاتیه فانه یحملها علی المرادة لاصلاح النفوس والاعمال والنبات لا المرادة
 لاستخراج المجهولات وتقدير المساحات وتقويم المخترعات ويرد الرابع بان ترك
 تحجیلہ ما لا یقتضیه الفاظه لا یقدح فی الاعجاز وانکار الشاطبي متوجه الیه قطعاً
 فان من یحمل القرآن من المعانی ما تأباه الفاظه سيء
 الاعتقاد فیہ او جاهل او مرآء فكثير من یطلبون السمعة بطرق هذا الباب
 ویسابقون فیها وقد یكون صديق احق اضر من عدو فيقول القرآن فیہ كل علم
 ولم یغادر صغيرة ولا كبيرة ثم اذ ارد علیه قوله اجهد نفسه فی التكلف وهو لا
 یريد الا تفخيم شأن القرآن فی قلوب الماديين المكذبین به جاهلاً انه غیر محتاج
 للتفخيم ولا لاكتساب رضاهم به بل المنته له علیهم ان رضوا عنه قال تعالی
 « قل لا تمنوا علی اسلامکم بل الله یمن علیکم ان هدیکم للإیمان ان کنتم
 صادقین » وسیاتی زیادة بیان وبحث فلنتم دفع ردود الاستاذ علی ابی اسحاق
 الخامس منها یطلبه ان الشاطبي رضی الله تعالی عنه لم ینکر ما رد به الاستاذ
 عنه ولا یقتضي كلامه خلافه لا بطریق المطابقة ولا التضامن ولا الالتزام ولا
 الالتزام ولا الحقيقة ولا المجاز بجمیع انواعه من مرسل وكنیة واستعارة ونقول
 علی الرد الاخير السادس ان الشاطبي لا یجهل اتساع دائرة القرآن وغزارة
 منافع ومحاصیلہ المرادة لمنزله كما یشهد بذلك کتاباه المشهوران وانما انکاره متوجه
 للمتطعین المتكلفین هذا وان الموضوع غیر محتاج الی الاطناب الممل فان وضوحه
 مستغن عنه « بدري ارق محاسن » والفرق مثل الصبح ظاهر « ومما یحملنا علی
 الاكتفاء مراعاة ذوی الرأي الجدید المراد توفیرة من الاستاذ فانه یكره التطویل
 الا فی المباحث المفتقرة الیه وهذا من محاسنه التي یشاركه فیها كثير من ذوی
 الرأي القديم الذي لا یحتقره ویشنی مع هذا نصر اوفر الرأیین توفیقاً اذ لا
 عداوة لنا مع احدهما ثم فلیعلم الاستاذ دامت کرامته ان دفاعنا عن الشاطبي مبني
 علی نقله عنه هنا اما اذا كان الرد مبني علی كلام آخر لم یقله وجب
 التسليم التسليم والاعتذار بعدم علمنا به « وما شهدنا الا بما علمنا
 وما کنا للغیب حافظین » وبعد فقد وجب ختم مؤانستنا باستماع كلام
 ابی اسحاق واستمئنا بلالیة الزهرية والزهرية واشراقها وتارجها المنظومة انکاره
 على في القواعد ما لا استفاد منه لغته العريضة وتناقه معانيه مفرداتها

وترأى فيها ويرفضه الحزم بكونه قرأنا بلسان عربي مبين فقول يا صاحب الكتابين
النورين للفكرين الجديد والقديم قد امسى لسان حالك حولنا يقول

وان سيلبي واضح لمن اهتدي ولكنها الاهواء عمت فاعمتي

فوادعا وداعا وشكرا وشكرا وحنينا حنينا فقد ابتليت في عصركم فتن كستم
سوارم في اعناقها وابتلى عصرنا باشد منها فلم تتحرك ولم نخرج لها لسانا او
نروع منها جنانا ومن اهلونها تطويل الخطب الجمعية القائمة خطبتها مقام ركعتين
فقد ادت مخالفة السنة فيها الى تاذي المصلين واخذتهم بالتبرم والسآمة اذ فيهم
المبتلون بهرم او عجز عن الامساك او مرض او ضعف او حقن او حقب او
جوع او خوف حرمان من شغل لا يسمح اصحابه باي تاخير عن الوقت المسموح
فيه بالتخلف وقد ادى هذا التطويل الى ترك الجمعة من كثير فيالها من مصيبة
سببها الحرص على الهداية من البعض والتمتع بالاعتلاء الطويل من الآخر والرغبة
في الشهرة بين العوام من غيره ونفا عما ذكر صار الجامع المركوب متنبه لخطيب من
هذا النوع يقصده كثير ممن لا يصلون حبا في استماع النواذر والتحدث بها وقد
ذهب التيار بهؤلاء الى ان هموا بمنع خطيب حرصا على استدامة نائبه لانه لا يتقيد
بسنة التقصير وتحدث بذلك المقاهي وبعضهم يجعله حرصه على الاهتداء ان
يصف المكروه بالحرمه والحرام بالكفر ولكن هذا الحرص لم يزد الناس الا اقبالا
على ما هم فيه وليس لهم من الخطابة الا المتعة باستماع ما يحلو لهم منها اذ لا يدخل
القلب كل ما يقرب الآذان ويقدر اقتراب التعب من قيود الشرع يتفجع به الانسان
ولذا حكى عن العلامة الصالح الزاهد الخطيب بجامع سبحان « الله » الشيخ عبد الله
الدراجي رحمه الله انه كان اقصرهم خطبة واشدهم تأثيرا وتوثيرا ولله في خلقه اسرار
ونقلوا ان امير عصره تبرع عليه بذهب كثير بعد انتهاء درس الحتم في اواخر
رمضان ففرق جميعه قبل مغرب ذلك اليوم ثم صلى ودخل بيته فطالبت العيال
برغيف فقال ما ظنت افتقارنا وخرج فاعترضه به احد المصلين فرجم به اليهم
فرحا وشاركهم فيه ولتختم هذا بما لعله يكون عظة لمن شذ من خطبائنا واختار
البدعة على السنة واذا انكسر عليه اخذته العزة باللائم وقال ذاك زمان
وهذا زمان ومن لم يعجبه فعلنا فلا يعمل معنا وهي ان اعجميا حاجا وقف بمنى لرمي الجمار
فسأل عن قائده فقيل ايلام الشيطان واهاتيه لانه تأتي به الملائكة وتوقفه في
الرمي فقال سارميه بصخر يعزق اوصاله ويدق قذاله لا يمثل ما ترمونه به فقال

له اجد الحبيب الذي لم يرزق ذوق بعض خطبائنا ارم بمثل هذا حجما لانه
الوارد اما اذا رميته بمثل قطع الجبال زدته كلبا وبعث فيه لذة وطربا وهناك ايضا
ملك كثر السرقا في مدته فعاقب عليها بالقتل فازدادت كمية وكيفية فتعجب
وسأل عن السر فقال له وزيره الموفق ان سبب الكثرة الخروج عن القطم الذي
امر به خالق التوفيق والمصيان والمنح والحرمان فصى الله على من قال « من امر
الناس فليخفف فان فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة وفي هذا الحديث روايات
كلها تفيد طلب التخفيف وتبين علته فرحم الله الشاعر الفقيه المضمن للحديث
السالف في قوله

رب اهام عديم ذوق يؤم للناس ثم يجحف
خالف في ذاك قول طم من امر الناس فليخفف

هذا واذا كانت المقاصد التطويلية صالحة او غير صالحة فلا مانع من
تحصيلها في التبرع بالقاء الدروس ولو فوق المنابر وراحة المصلين فانها تتراد وتنفع
لغير ما تتراد منه الخطبة وتضيق عنه قبل من سوط بل صوت يرفعه علامة القطر
وفخرة ذو العقل الراجح والفضل الواضح يكبح الجماع ويقود الفلاح فانه عمدة
الفتوى وموطن المعزة والتقوى

لسنا نسليك اجالا وتكرمة فقدرك المعقل عن ذاك يغفينا
اذ انقردت وما شوركت في صفة فحسبنا الوصف ايضا حاوتينا

هذا وانه لا ينبغي ان تترك ما جرت اليه المناسبة من اشارة الى اسرار كلام
انه التي لا يعقلها الا العالمون الذين ابو اسحاق من اعيانهم وهي انه شفاء ورجمة
بوصف منزله ولا تنقضي عجائبه كما نقل الاستاذ عن السالف فاذا وجدنا مثلا بعض
آيات فيها شفاء لادواء جسمية وبعضا لنيل رغائب دنيوية بغير الاسباب المعتادة او
معها وبعضا آخر يجمع كيد الشيطان ويتحصن به من الانس والجنان وبعضا آخر
من الاسقام القلبية وهي ما عبر عنها حجة الاسلام الغزالي بالمرديات وقد حققت
التجربة كثيرا من ذلك فاذا انتفعنا بشي من هذا قلنا انه من عجائب الذكر
الحكيم وبركاته الا انه لم ينزل لاجلها اصالة وانما نزل - للاصلاح البشري من
من حيث العقائد والخلق والمعاملات والعبادات وكذا اذا وجدنا كشف بعض
الدقائق العلمية قلنا هذا من فضل ربي وعجائب كلامه والشايطي لا يمنع مثل هذا

وانما ينكر التوسع والاستفراق فيه والاقطاع اليه والانصراف عما نزل له كما
التى كثير حتى من العلماء الى ان اوهمت حالتهم من لم يدرك انه ما نزل الا للناقم
ابتي يحثون عنها ولا يهمهم شيء مما عداها من منافع الآخرة فهم مثل من اضاع
العسل لاجل الشمع واللباب للقشر والنوى فاضاعوا منه منافع الدارين وهي البحث
عما نزل لاجله ابتداء ثم العمل به واقبلوا على ما فيدهم في دنياهم فقط وهؤلاء
هم مراد الشاطبي كما لا يخفى على اللبيب حيث رأى منهم الانصراف التام الى ما
تستخرج به الكنوز ويدفع النحر ويدرك الرزق ويسوق المحبة للمبغض ويستميل
القلوب وتقضي به حوائج المقبلين على الدنيا اقبال الخنازير الجياع على لذيذ
الطعام - « ومن رجع عاجلا منه بأجله بين له القين في بيع وفي سام » وحاشا الشاطبي
ان ينفي عن القرآن دسومته وظني ان الذي حمل الاستاذ علي جعل عدم انتهاء
عجائب القرآن وفرة المعاني لالحواص التي منها ما ذكرنا هو احترام الرأي الجديد
والحرص على راحته وخشية اغضابه فحصر عدم انتهاء عجائبه في وفرة المعاني مع
ان الحواص الف فيها العلماء والفوها وتلقوا بعضها عن اعيان الصحابة كابن مسعود
حين قيل له عند الوفاة ما تركت لبناتك فقال سورة الواقعة نجانا الله ببركته
والعمل به من احوال القارع

الصفحة التاسعة والثلاثون

« وذهب ابن العربي في العواصم الى انكار التوفيق بين العلوم الفلسفية
والمعاني القرآنية ولم يتكلم على غير هاته العلوم وذلك على عادته في تحقير الفلسفة
لاجل ما خلطت به من الضلالات الدينية وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء »
لعل ابن العربي يريد ان يعرف المتسبين للقرآن عن اجتهاد الفكر في الفلسفة العميقة
العميقة الى العمل به فانه يوجد في كل عصر فريق من المتسبين اليه كثرتهم تنمو
كلما اتقضى عصر دابهم البحث عما يعظمه عند الملذذين به المتعنتين حتى سمعت
في عصرنا بعض المدعين المائعين يقول امام رجل من فضلاء المستعربين ان القرآن
اشد الكتب السماوية تحريضا على الجمع والمنع والاستفراق في طلب المال والجاه
والاعراض عن ذكر الموت وقد شعر المستعرب الذكي بمرادة فقال له ان صدقت
في هذا ولا اخلالك فقد نقرت اهل الكتاب منه لان الكتب السماوية تامر بالخير

وما ذكرت من القرآن شر مكشوف . وخلق غير مالوف . فقال بعض الحاضرين
 ان صاحبك من اجهل الناس به وتعاليمه وانما هو من حفاظ كتابه من هنا نبدا
 الذي هم صاحبه فيه بين البعر والدر فذهبت مساويه به حاسنه ثم انطوى المجلس
 عن ضحك وانسراح من البعض وعبوس واقباض من آخر ومنهم من ينسب المفسر
 الذي لم يصرف الهمة الى الكدح في استخراج النكت البلاغية الى سقوط الهمة
 والقناعة بالدون ولو اتى ذلك المفسر بمثل فلق الصبح من فيوض القرآن والادلة
 على اعجازه من غير الناحية المنظور فيها الى علم البلاغة وتسامى على ان حجة
 القرآن البلاغية ذهبت من عصور اقراض المطبوعين عليها وان كانت مسلمة عند
 غيرهم للقطع بالعجز عن معارضة القرآن من ناحيتها وغير ناحيتها فرأى اهل
 الهمة العليا من المفسرين التوجه الى الحجة الناهضة في كل عصر وبين كل امة
 وفي كل جيل اهتدى الى الدين كثير من العجم متخذين لغتهم الاعجمية وسيلة
 اليه وفي الترجمة عند الموقفين شبه وري وفيهم من سلك في اسلامه منحى صوفيا
 كالشيخ عبد الله الفرنسي الذي ليس له من لغة القرار كثير ولا قليل وهو الآن
 متجسك بجبله المتين صابر على البؤس والحفاء والطعن من سفهاثا استعبادا لاهتدائه وهو
 الاصحى عندما كادوا ان يخرجوا منه افواجا والله متولى السرائر وقعه هؤلاء البلاغيين
 بتحقيق من لم يسلك سبيلهم من موقفي المفسرين اعداد الناس لقبول منتحلاتهم
 المنشوش عنها في الكتب المدفونة عندهم متى ظهرت او السخافات التي اعتمدوا فيها
 انفسهم وكلامنا هذا لا ينبغي ان يعد طعنا في استعظام بلاغة القرآن فانها لا تنهيا
 العصور ولا تبليها الدهور وانما هو انكار على التعظيم والتحقيق الناشئين عن الاعجاب
 والفلة عن العيون التي يستحيل ان يسترها التعظيم والشموخ ما دام عارفوها بقيد
 الحياة ثم ان ابن العربي لا نشك في ان الحامل له على استهجان الحوض في الفلسفة
 والافراط فيه ما تطاير من شررها على المعتقدات الاسلامية حتى بلغ الامر بضعاف
 الاعتقاد ان جعلوها حكما مطاعا ومسبارا عادلا يقلبون به ما واقفها ويتركون مسا
 خالفها فكان مسئلة بمنزلة قوله للفلاسف والمفسرين دعونا نستشق غير القرآن
 خالبا من الابخرة الكريمة فهو حجة لكم ان وافقتموه وحجة عليكم ان خالفتموه فلنا
 الغم في الحالتين وعليكم الغرم في احدهما فافراطه حيثد محمود لا يخلو من الحكمة
 كما ان مخالفيه الخاضعين فيما ابي الحوض فيه من علماء المسلمين لم يحملهم على
 سلوكهم الاقصد التأييد . واشهار التمجيد . والاعمال بالنيات ثم انا معشر الخلف
 اذا نظرنا الى ما نحن عليه امام القرآن وجدنا انفسنا نقوم اخذ العطش بحلاقيهم
 حتى بلغنا ارواحهم فتدقق عليهم السليل من ارض وهبها لهم من اراد حياتهم

فاخبرهم عابر سبيل بان ارضهم بها معادن ثمينة فشغلوا بالبحث عنها وعموا عن ما بها
وحرثها وغدوا معرضين عما فيه صلاح ابدانهم وبقاء حياتهم حتى افق بهم الاقبال
والاعراض الى ان كانوا من الخاسرين وهذا هو الذي اخاف ابا اسحاق الشاطبي
رحمى الله عنه فهو لم يقل الا حقا يحبه الله ويرضاه ولا يقر تحمیل القرآن من
المعاني ما تأباه لغته العربية ولا تتحملة افهام اهلها

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم الماء من سقم
فانقلنا الآن باخراج النكت البلاغية والمطابقات الفلسفية مع الاعراض عن العمل
صيرنا مثل هؤلاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومما يملأ النفوس اسى
ايضا التعافت على اقامة الاعتراضات على عظماء العلماء الذي جلدوا عصورهم
بالتأليف المفيدة والاعمال العالمة والتخطئة لهم والقدح فيهم المقصود بهما التعاضد
اذ لا يجب يخشى ولا نصير الا الله فلا مانع حينئذ من التناول نزولا على العمل
بالثقل .

خلالك الجو فيضى واصفري وتقري ماشئت ان تقري
ومن ملائمت الموضوع ما حكى عن ابن مالك صاحب الالفية النحوية الشهيرة فقد
اراد ان يتفالى في تفضيل الفية على الفية ابن معط زميله في اللم والتأليف ويقدر
التفوق المجمل بعد قوله :

وتقتضي رضا بغير سخط فائقة الفية ابن معطى
فقال : فائقة عنها بالفيت . فججز عن ضم العجز للصدر ووقف كمن لم يكن
اه عهد بالنظام . قرأى ابن معط مناما قائلا له هاك عجزا ضمه الى الصدر فقل :
والحي قد يغلب الف ميت - فحذف ابن مالك الشطر الذي نظمته والنهى ما امل
عليه وعوضهما بالدعاء لنفسه ولزميله فقال :

والله يقضي بهيات واقره لي وله في درجات الآخرة
والمدار على حسن النية وسلامة الطوية فرحمهما الله واسكنهما مساكن الابرار
هذا ومما يجري الدموع وبقد الضلوع امتلاء عصرنا بمن يزعمون انهم نقاد بزوا
المتقدمين وظفروا بأخطائهم واقهرهم على هذا الهوس المبني على الغرور والاعجاب
افراد عمى البصائر منهم رجل كهل يدعى الادب لفق قولاً سماه شعرا مختل
الوزن معتل المعنى احسن ما فيه مسروق فقال لا بورك في كلامه مقررًا ومادحا

غدوت خضم العصر يسطو حسامه بمن قد مضوا من جامدين على العرا
وكانوا كفار وسوسوا خلف حائط وكنت كسنور عليهم تسورا

وهذا بعضه اما البقية فهي اشنع وابشع وقد حضرة بعض من اطعمهم عليه
بأنه ربما ناله لاجله من الممدوح طردوا اهانه لا قبول وغرامه ولا يدري هل
اجبهم او اقدم

اولم كثير من المفسرين يتطلب اسباب نزول القرآن وهي حوادث يروي
ان آيات من القرآن نزلت لاجلها لبيان حكمها او لحكايتها وانكارها ونحو ذلك
واغربوا في ذلك واكثروا حتى رفعوا الثقة بما ذكروا . بيد اننا نجد في بعض آي
القرآن اشارة الى الاسباب التي دعت الى نزولها فكان امر اسباب نزول القرآن
دائرا بين القصد والاسراف وكان في غض النظر عنه وارسال حبله على غاربه - فظهر
عظيم في فهم القرآن

وضع اكابر العلماء معرفة اسباب النزول في مكانة تناطح السحاب . وتعتقل
انظار الطلاب . لانها مفيدة في نفسها اولا وسلم الى الكشف عن مراد الله ثانيا فلا
غربة عندئذ ان تتوجه اليها العناية . وتتزاحم عليها المباحثات . فهي جديرة ان
يهم بها من اهلهم الله لدخول المبدان . ومباراة الفرسان . وعليه فعذر الاستاذ في
ان يجعل بصره حديدا وياخذ الحبل بكلتا يديه ولا يتركه على الغارب لالوم عليه
فيه فان التأليف الخالية من بذل الجهد في الاحسان والاصابة معتبرة عبثا تقيلا
وطعاما وبيلالكن العبارات المشعرة باحتقار اصحاب تلك العناية والحكم عليها بالخلو من
الفائدة والايقاع في الارتباك غير محمود فبا هذا الرفق لو منحه الاستاذ لمن كدحوا
في سبيل خدمة الدين وبذلوا من الجهد في بلوغ هدفهم ما لا يهون على غيرهم
بذله فهم الى الافادة طامحون . وعن الثروة والجمعية جاحسون . والله يجازي
بالكثير عن القليل وحسن النيات يدفع الملمات

« وانا عاذر المتقدمين الذين القوا في اسباب النزول فاستكثروا منها بان كل
من يتصدى لتأليف كتاب غير مشبع بتملكه محبة التوسع فيه فلا يفتك يستزيد
من ملتقطاته ليدكي قبسه ويمد نفسه فيرضى بما يجد رضاء الصب بالوعد ويقول
ردني من حديتك يا سعد غير هيب لعافل ولا متطلب معذرة عاذر وكذلك
شان الولم اذا امتلك القلب » .

لا ينبغي ولا يجوز لمن يؤلف في الاخبار طرح ما يجده مكتوبا او مسموعا
لان هذا خروج عن دائرته وخيانة في تاديته ثم اذا ظهر له بحث فيما نقله يؤدي
الى الحكم بصحتها او مرضها ذكره محكما الانصاف معرضا عن الاعتساف اما
الاعراف حتى ذكرى ما ظهر له بطلانها فهو حماقة مازة اذ قد يصح عند غيره ما

رأى باطلاً ويطلعه عنده ما رآه غيره صحيحاً لكن كثيراً يخالفون القاعدة فيكون من شاق إلى هوة والاستاذ اعز الله قد اعتذر عن المؤيدين واجبههم التالفي بعذر املاه عليه حب السجع فذكرنا بقاضي هـ قسمه والا فالمتقدمون من المؤلفين لا يبلغ بهم السخف ورقعة الدين واستيلاء الشهوة الى الرتبة المذكور بعضها سجعاً والحائث من عثرات القلم واللسان لا يجرا على نسبة المؤلفين من القدماء رضي الله عنهم الى الفضول والهذر والثرثرة وفساد النية فهل من تيسير الفكر الجديد ان نعتقد فيمن لا يرضون بغير الوصال انهم راضون بالوعد كلا .

« ولكنني لا اعذر اساطين المفسرين الذين تلقفوا الروايات الضعيفة فاقبضوها في كتبهم ولم ينهوا على مراتبها قوة وضعفاً حتى اوهموا كثيراً من الناس ان القرآن لا تنزل آياته الا لاجل حوادث تدعو اليها ويشهد هذا الوهم فان القرآن جاء هادياً الى ما به صلاح الامة في اصناف الصلاح فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية الى تشريع الاحكام نعم ان العلماء توجسوا منها فقالوا ان سبب النزول لا يخص الا طائفة شاذة ادعت التخصيص ولو ان اسباب النزول كانت كلها متعلقة بآيات عامة لما دخل من ذلك ضرر على عمومها اذ قد اراحنا علماء الاصول حين قالوا « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » .

اساطين المفسرين كثيرون وهم امثال ابن عباس وابن جرير والزحري والبيضاوي والالوسي والطبري والقرطبي والرازي والجباص وابن العربي وغيرهم كثيرون وقد اقتصرنا على تسميته هؤلاء لان لهم تفاسير يتناولها الناس ويطالعونها ولولا ذلك لمعلمنا ابن مسعود وعثمان بن عفان ثالث الخلفاء وصاحبه قبله وابن ابي طالب وابي ابن كعب وابن ثابت وابا هريرة في المقدمة هؤلاء الصحابة غير مرادين من عبارة الاستاذ وان كانت تشملهم الا ابن عباس فقد يكون مراداً لان لم تفسيراً يدونا ينسب اليه فالمانع اذا اندماج تفاسيرهم في كتب التفاسير المدونة وعليه فلا مناص من معاتبه الاستاذ علي شينين احدهما تميم رفع العذر عن اساطين المفسرين وفيهم الصحابة وفيهم من لم يذكر سبباً للنزول وكان عليه ان يخص حتى لا ينال اللوم العنيف الا من دونوا وذكروا بدون تمحيض اما من لم يدونوا او دونوا ولم يذكروا الاسباب او ذكروا ومحصوا فهم بريئون من هاتم المؤاخذه القاسية ثانيهما ترك الاعتذار عن المؤاخذه من اساطين المفسرين بما ذكر عن الوصوليين المفضي لتخفيف الذنب عنهم فما وجه الاعتذار عن قدماء المؤلفين في اسباب النزول وتركه في جانب المؤاخذه من اساطين المفسرين وكلامنا في اصل الاعتذار لا في عينه لانه

أقبح من الذنب ولا يرضى به قطعاً كما أسلفنا بقي ان نقول ان صنيعهم في ذكر اسباب
النزول بدن تمحيص لم يتوهم منه احد يتسبب للعلم ان القرآن لا ينزل الا لاسباب
ومن توهم ذلك رفعا وهمه بمثل تعليل الاستاذ واذا اصر فلا خير عليها ما دام
يعتقد ان خالق سبب النزول هو المنزل وهو سبحانه ادري بما يصلح العباد وينفي
الفساد فلو اراد ان يقرن نزول كل آية او حاشا بسبب خلقه لما استحال فافاق
الاستاذ من توهم اعتقاد ان القرآن لا ينزل الا لاسباب في غير محله فاعتقاد ما ذكر
لا يضر ولا ينفي عن القرآن الهداية والاصلاح فليسكن فؤاده ولينعم بالافعال في
الامر خطر على الدين . ولا صولة على اليقين وقانا الله واياه من حب توهين حسن
الاعتقاد في سلفنا الصالح وشغلنا بتطهير انفسنا مما خلوا منه والتحلي بما اكتسبوا
به واكتسبوه

الصفحة الواحدة والاربعون

« وقد قال الواحدى في اول كتابه في اسباب النزول اما اليوم فكل يخترع
للآية سببا ويخلق افكارا او كذبا ما قيا زمامه الى الجحالة غير مفكر في الدوعيد -
وقال لا يحل القول في اسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسامع ممن شاهدوا
التنزيل » اهـ

رحم الله الواحدى فقد افادنا ان زمنه كان مفعما بما افعم به وقتنا من دجالين
باسم الدين يدعون الفيرة عليه وارادة صونه وهم اضرب عليه من اعدائه الكاشحين
غير ان اولئك دون هؤلاء خبثا لان غايتهم نيل العدم من انصاره . والمرابطين على
حفظ آثاره . اما هؤلاء فغايتهم ان يكونوا زعماء يأكلون الدنيا بالدين اكلا لما ثم
يتولون الوزارات ويحكمون شهواتهم .

ونحن نحمد الله على قلة عددهم في هذا البلد وانكشافهم لعلمائه الموقنين
فاصح بهم آمن لا يخشى بخسا ولا رهقا ثم نرجع الى ما نقله الاستاذ عن الواحدى
فنقصه بجلاء علم الحديث وقدماء . واعداء الدين المخففين برداء شفاف او كثيف .
اما اساطين المفسرين وقد ما المؤلفين في اسباب النزول فلا يحمل عليهم ولا
يقصدون بكلامه وهو لا يعلم انه سيأتي يوم يزج بهم فيه ولو علم ان كلامه
سيحمل عليهم وقسره تصرحا او ايها لا زاله قبل ان يلاقى ربه

الصفحة الثانية والاربعون

« ففي كتاب الايمان من صحيح البخاري في باب قول الله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) ان عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا) الآية فدخل الاشعث بن قيس فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمن قالوا كذا وكذا قال في انزلت كانت لي بشر في ارض ابن عم لي الخ فابن مسعود جعل الآية عامة لانه جعلها تصديقا لحديث عام والاشعث بن قيس جعلها خاصة به اذ قال في انزلت بصيغة الحصر »

كلام الاستاذ صريح في ان الصحابين مختلفان فكلام الاشعث رد لقول ابن مسعود وقول ابن مسعود مناف لكلام الاشعث وان الاشعث يرى ان وعيد الآية لا يتناول غير ابن عمه الذي اقتطع حقه يمين فاجرة وعليه فوعيد ذلك الغير اذا اقتطع حقا لغير الاشعث يمين فاجرة كما اقتطعه ابن عم الاشعث له غير موجود في الآية ولو بطريق الإشارة ولولا الحديث المفيد المؤاخذة لما كان حرج على غير ابن عم الاشعث في اقتطاع الحقوق بالايمان الفاجرة هذا كله استفادة الاستاذ من تقديم المعبول وقد خطر بباله ان الحصر اضافي مقصود به الرد على من قال او سيقول ان الآية نزلت في شأنه فقط لا في شأن الاشعث وابن عمه وانه لا منافاة بين قولي الصحابين اذ الاشعث بين ما اجله ابن مسعود ولم يطله فكانه قال في نزلات اثر الحديث الوارد عند خصوص متى مع ابن عمي هذا اذ اعتمدنا نقل الامام البخاري رضي الله عنه المبين فيه سبب نزول الآية واما اذا اعتمدنا قول بعض المفسرين ومنهم صاحب الكشاف من ان الآية في شأن اهل الكتاب الذين كتبوا ما فيه من وصف النبي الامي عن امهم فقد اشتغينا عن بذل المجهود في التوفيق بين الاشعث وابن مسعود .

الصفحة الثالثة والاربعون

« وهذا القسم قد اكثر من ذكره اهل القصص وبعض المفسرين ولا فائدة في ذكره على ان ذكره قد يوهم القاصرين قصر الآية على تلك الحادثة لعدم ظهور العموم من الفاظ تلك الايات »

من حقوق الاستاذ سامحه الله ان يضع في تفسيره من اسباب النزول ما نشرح

لم صدره ولم ان يترك ما شاء ولا حق لاحد في محاسبته اذ لم يخرج في هذا الصنع
عن سنة المؤلفين مفسرين وغيرهم بيد ان الطعن فيمن ذكروا ما لم يذكره بانهم
ثرثروا واساءوا حيث اوهموا القاصرين الخصوص عند ارادة العموم لا وجه له
ولو اطمانت نفوسنا لما اطمانت اليه نفسه من الانكار عليهم لحجرتنا واسعا وضيقنا
فسيحا وحقرنا عملا جليلا قاموا به واستحقوا عليه الشكر لحرصهم على حفظ
اثار السلف ، وادراكهم ما في ذلك من زاد للاخرة وشرف ، وانشاد حالهم عند
المرور عليها ، والاتصال باخبارها ومغانيتها .

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفى قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وهم لا يرون في صنعهم تضليلا ولا ينسبون للغباوة من تاهلوا الى مطالعة
اسفار التفسير فيخافوا عليهم ما خافه الاستاذ فحسبه حرية الترك ، وليس عليه
عيب اذا كرين لهما من الفرس والعرب والترك ، وحيث ان الثرثرة قد تشفى ما
في الصدر احيانا فاني اذكر لكم ما ضيق به صدري شيخ متوظف في الدرجة العليا
فانه رد كلامي السالف بان اعتراض الاستاذ خاص بالمفسرين اما نقلة الاخبار
فانهم خارجون باعتذاره المتقدم قريبا المتتالي في ضمنه معنى قول الشاعر المشكور
ونحدثني ياسعد عنهم فردتني حنينا فزدني من حديثك يا سعد

وبانه لم يقصد تشنيعا على المفسرين فان عملهم حم ومضى على ما فيه من خير
وضير وانما قصد سن سبل قويم ذي اعلام واضحة ونور كشاف يسلكه الاتون
فلا يقعون فيما وقع فيه السالفون من ذبذبة عند ارادة التاليف في التفسير فعلى
دمي البارد بحكم السن فهووت على نفسي بقول نعم هذا صحيح كصحة قول ابي
الطيب في كافور مادحا او هاجيا

ولله سر في علاك وانما كلام الوري ضرب من الهذيان

« وقسم بين مجملات ويدفع متشابهات مثل قوله تعالى « ومن لم يحكم بما
انزل الله فاؤلئك هم الكافرون » فاذا ظن احد ان من هنا شرطية اشكل عليه
كيف يكون الجور في الحكم كفرا ثم ان علم ان سبب النزول هم النصاري علم ان
من موصولة وعلم ان الذين تركوا الحكم بالانجيل لا يتعجب منهم ان يكفروا
بمحمد »

لم نطلع على ان احدا ذكر لهذه الآية سبب نزول ولا انها خاصة بالنصاري
ولعل هذا القول من جملة المفتوح به وذلك بعيد لاتا تعودنا التنبيه من المؤلف عليه

فلم يبق الا النقل وهو مفقود هنا ونقل صاحب الكشف عن ابن عباس تخصيصها
 باهل الكتاب مطلقا سواء اليهود والنصارى ولم يعف المسلمين من وعيدها حيث
 قال من جحد حكم الله كفروا من عمل بغيره معتقفا به فسق وظلم هذا وان الآية
 ذكرت بعد التنويه بشأن التوراة كما يفيد قول الله تعالى « انا انزلنا التوراة فيها هدى
 ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا الذين هادوا - والربنيون والاحبار بما
 استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا
 بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكفرون وكتبنا عليهم فيها
 ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروج
 قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون
 وقبينا على ائثارهم يعيسى ابن مريم مصدقا بما في يديه من يديه من التوراة وآتيناه
 الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين
 وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم
 الفاسقون » فانت ترى انها متوجهة الى اليهود اولا ومباشرة فما وجه اعفائهم من
 وعيدها وتسليطه على النصارى مع قريتهم منها واشارتها الى تعطيلهم حكم التوراة على
 زائنين محضين منهم بالرجوع ومحاولتهم كتم هذا الحكم وكشف ابن صوريا العالم
 اليهودي عدوانهم عليها عند تحكيمهم الرسول فيهما بمقتضى ما في التوراة وقد
 ادت امامته وعلمه وصدقته الى رجوعهما واسلامه فيحق حينئذ للنصارى ان يشهدوا
 قول المتفجع المتوجع

غيري جنى وانا المصذب فيكم فكأننى سبابة المتسدر

هذا ولو لا حسن الظن بالاستاذ لحدثنى النفس الامارة بان للسياسة اعدود
 بالله من شرها سببة في الحمل المتعسف ولا يمكن ان يريد الاستاذ بسلوك هذا
 المنهج المشتبه الاعلام في تفسير كلام « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »
 تنزيل من حكم حميد « تهوين الظلم على حكام المؤمنين وادخال السرور على
 الجائرين منهم مع علمه بان الصحابي الجليل ابن مسعود جعلها عامة في عبارة اوضح
 واصرح من عبارة ابن عباس رضى الله عنهما وعلى فرض
 تلك الارادة وقد يفرض المستحيل فما المانع من جعل من شرطية مع ظهوره
 لاقتراانها بالفاء واذا اراد بهذا اخراجهم من الوعيد فهو غير سديد لانها للعموم
 على كل حال كما فهم ذلك ابن عباس وابن مسعود وبقية المفسرين غير الاستاذ ولان
 سبب النزول لا يخص كما ذكره الاصوليون واقرهم عليه ونقله عنهم فلو حمل
 انكفر بالنسبة للمؤمنين على ما اذا انضم الى الحكم بغيره الجحد له والتكذيب به او

الكفر بالنعمة لاحتمل قبوله مرجوحا ، وامسى قلب الحاكم بغيره مجروحا ، فلا يجمع بين جرائم وتعاضل عنده خشية العدوان . وفي دائرتها صلاح للقلب والعمل واللسان .

لكن من رام تفاهق الذي يقول يفضم خرج الزمان
لكن حالت بالاستاذ عن هذا رغبته في ارضاء الفكر الجديد والله اعلم .

الصفحة الرابعة والاربعون

« وكذلك حديث عبد الله ابن مسعود قال لما نزل قوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينالم يلبس ايمانه بظلم ظنوا ان الظلم هو المعصية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بذلك الا تسمع لقول لقمان لابنه « ان الشرك لظلم عظيم » اشتبه على الاستاذ ما يفسره الحديث الشريف الممثل فيه لقوله تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون » بما يفسره سبب النزول الذي لا يرشد اليه الا الصحابة ومن نقلوا عنهم فشب ذلك بهذا وجوابنا عنه ان التشبيه في مجرد الكشف عن غموض والبيان لمراد بتبادر الى الذهن غيره اذ فهم من الظلم في الآية المعصية والمراد بها الشرك وهو احض منها لانها تشمله وغيره او انه اتى بهذا مجردا عن اعتبار ما ذكره وتقليد للسيوطي في وضعه في الاتقان عقب القران المفسر بسبب النزول من غير تمحيص واذا اصنأ فيما راينا عددنا هذا التقليد من نوادر الاستاذ لان عاده اجله الله محاسبة المؤلفين حسابا عسيرا لافرق فيه ولا هوادة ولو كانوا من اساطين المفسرين الا ترى انه اغلظ عليهم في قبول كل ما يذكر من اسباب النزول خاليا من التمحيص والبحث واذا صح هذا الاحتمال فهو خروج عن المألوف ، معدود عندئذ من المعروف ، فلا غرابة فيه اذ قلب الانبياء في تصرف الرحمن ولكن القلوب لها انقلاب وحالات ابن ادم تستحيل

الصفحة الخامسة والاربعون

« لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في الفاظ القرآن حتى في كفيات الاداء لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك لان علم القراءات علم جليل مستقبل قد خص بالتدوين والتأليف وقد اشبع فيه اصحابه واسهبوا بما ليس

عليه مزيد ولكنني رايتني بمحل الاضطراب الى ان القى عليكم جملا في هذا الغرض
 تمهون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير . ومراتب القراءات قوة
 وضعفا كني لا تصجوا من اعراضى عن ذكر كثير من ذلك وكثير من القراءات في
 اثناء التفسير

كلام الاستاذ صريح في ان الحامل له على الخوض في القراءات تقليد
 المفسرين ولولا لما خاض فيه لاستقلاله بنفسه واحتصاص علماء بارعين فيه بتدوينه
 واخراجه للناس معفى لكن تارك العادة يعادى كما يقال فجاراهم يومئذ في ذكره هذا
 ما يدل عليه ظاهر كلامه وباطنه غير ان استدراكه ناقض اول كلامه لانه جعله
 محتاجا اليه وواجبا ذكره عليه ولو لم يتعرض له المفسرون لما ذكر من التعليل
 وهو الصواب لان القراء تعلق مباحثهم في القرآن من حيث الفاظه والمفسرين من
 حيث معانيه فان المعاني قد تختلف باختلاف الالفاظ كقولهم تعالى « ان المصدقين
 والمصدقات » الآية فان القراءتين فيها اي بتشديد الصاد وتخفيفها يترتب عليهما
 اختلاف المعنى فيبانهما على المفسر اكيد والاهمال قصور او تقصير بخلاف البيان في
 قوله تعالى « ام تسالم خراجا فخراج ربك خير » فان اختلاف القراءتين فيهما
 باسقاط الالف وثبوتها لا يؤدي الى اختلاف المعنى فهو واجب على القارىء ومستحب
 من المفسر والفرق مثل الصبح ظاهر وعليه فارادة الاستاذ هنا ان لا نعجب من
 اعراضه عن ذلك الذكر بحجة عجب ومحجة وصب لان ذكرها له اتصال بالتفسير
 كاتصال الروح بالجسد زيادة على انه مهم في ذاته اذ لا يكاد فن القراءات يحلو
 للمطالع الا مصحوبا بالتفسير فذكر المفسرين لها اثناء اعتناء بالمهم او الواجب
 وزيادة في النور وشرح للصدور - قالوا المكرر فيه * قلت المكرر احلى - فجازاهم
 الله خيرا ولا اخل الاستاذ الا موافقا لكنه اراد الايجاز فيه ليتفرغ للاطناب فيما
 يريده الفكر الجديد ويتنور به وهو مجال متسع وانا نضرع الى الله ان لا يكون
 مثل ما ذكره في قوله تعالى « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون »
 ولعل دعاءنا يستجاب

« ارى ان للقراءات حالتين احدهما لا تعلق لها بالتفسير بخال والثانية لها
 تعلق به من جهات متفاوتة اما الحالة الاولى فهي اختلاف القراء في وجوه النطق
 بالحروف والحركات كمقادير المد والامالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق
 والجهش والهمس والفتنة ومزنية القراءات من هذه الجهة عائدة الى انها حفظت على
 ابناء اللغة العربية ما لم يحفظه غيرها وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف

في خارجها وصفاتها وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق وهذا غرض مهم جدا
لكنه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي ولم ار من عرف الفن
القراءات حقه من هذه الجهة »

وجب ان يقال هنا ان علماء المسلمين في جميع اقطارهم قد عرفوا حقه
بالتأليف فيه وتدرسه نظريا وعمليا فمن المعاهد التي شرفها تدرسه وتوجيهها
العبادة به الكلية الزيتونية عمرها الله بطاعته وجعلت له فيها شهادات بعنوانه عالميته
وتحصيلة فهل يريد الاستاذ بعرفان حقه غير ما ذكر من التأليف والتدريس والعمل
وامله عبر بهذا لزيادة توحيه النفوس اليه ايقاظا لهمم الخادمة والطابع الخادمة
او ان الاشارة راجعة لشيء توهم ذكره ولم يذكره واما زعم اهل ظن السوء
انه اراد به الاشتهار بالغلو في المحافظة على القديم استعالة للقلوب وجلبا للنداءية
ولو كان الامر حقيقيا لا عتني به اعتناء يرضيه عندما سنحت له الفرصة فجوابنا عنه
انه مجرد اوهام واضغات احلام يصدق على صاحبها قول ابي الطيب :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنوننا
وصدق ما يعتاده من توهم

« فائمة العربية لما قرأوا القرآن قرأوه بلهجات العرب الذين كانوا بين
ظهرا نهم في الامصار التي وزعت عليها المصاحف : المدينة ومكة والكوفة والبصرة
والشام قبل اليمن والبحرين فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه الاداء لا في
زيادة الحروف ونقصها ولا في اختلاف الاعراب ويحتمل ان يكون القارئ الواحد
قد قرأ بوجهين ليرى صحتهم في العربية قصدا لحفظ اللغة مع حفظ القرآن الذي
انزل بها ولذلك نجزم بان كثيرا من القراءات في هذه الناحية كان اختيارا كما جزم
بذلك قبلنا ابن العربي والزخشري وغير واحد وقد كره مالك رحمه الله القراءة
بالامالة مع ثبوتها عن القراء فدللت كراهته على انه يرى ان القارئ بها ما قرا الا
بمجرد الاختيار ولا ضرر في ذلك ما دامت كلمات القرآن وجملها محفوظة على
نحو ما كتب في المصحف الذي اجمع عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامن شد منهم »

ما ذكره الاستاذ من قراءة الائمة بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرا نهم
لا اعتقد صحته سواء اقرده الاستاذ بذكره او شاركه غيره واقول عوض بعربية
قومه بعربية روايته عن شيخه اي الامام الذي اخذ عنه القراءة لانه يجب عليه
تقليده والا فلا معنى للرواية عنه اللهم الا اذا عجز عن ذلك التقليد فيقال له
حيث ان الله يسر لا عسر في خاصية نفسه فقط اما ان يروي عنه ما عجز عن

ادائه بلغة شيخه فلا يكون لان اهل ذلك العصر بلغ بهم التحري في شأنه الى ان اعتقدوا ان سعادتهم في الآخرة والدنيا لا تأتي الا ببذل الجهد في صيانتهم من انواع الخطأ خفيا او جليا ثم يقال بعد اذا افتتح باب المخالفة للاشيخ مراعاة للهجة قوم التلميذ فلماذا لم يعم الجواز للمخالفة في الحروف والاعراب وتخصص بما عداهما فان قيل ان ذلك يؤدي الى مخالفة المعاصف العثمانية قلنا لا اثر فيها لتلك المخالفة لان الشكل حدث بعد امد طويل من تدوينها والله الموفق ثم ان الاحتمال الذي افضى بالزخشي وابن العربي الى الجزم بما جزموا به بساطل او مرجوح والمخالفون لهما وللأستاذ فيه كثيرون عددا وقيمة لانه ينافي قول الجمهور القراءة سنة متبعة وينافي عدالة القراء وامانتهم فان دأبهم تبليغ القراءة المروية لهم عن عدول مشائخهم لا بيان ما يسوغ في العربية وما يمتنع ونسبتنا لهم ذلك في مقام الرواية قدح شنيع مناف لحسن الظن فيهم وفيمن نسبة اليهم ولم ادر ما حمل الأستاذ على الشذوذ في نسبتهم للاستخفاف بما سمعوه والتلاعب به ليحافظوا على لغتهم الخاصة خوفا عليها من التلاشي في خضم لغة القرآن وانني اذكر ان مثل ما نسبة الأستاذ للائمة القراء او قريبا منه حمل العلامة الفحل في فهم عليا النوري الصفاقسي التونسي على هجو الزخشي ساعهما الله ورحمهما واتاملن المتمسكين بقول الجمهور والمتسبين الى النور المتمسكين بقول الحماسي:

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وانني لنا ان نعقد ما اقرا الأستاذ بعد توزيع المصاحف على اقطارها واستقرار القراءة التي اتبنت عليها تلك المصاحف الاستقرار الحاسم للفوضى واعتبار اللهجات القومية والنزعات القبلية خوفا عليها من الاضمحلال ولدى التأمل من قول الأستاذ ان امام دار الهجرة كره القراءة بالامالة وان الكراهة سببها ان رأى ان القاري بها ما قرأ الا بمجرد الاختيار تقع به الحيرة لمن ينزل الامور منازلها لان كراهة الامام للقراءة بالامالة مشكوك فيها واذا ثبت وهنت علتها لانها ما ثورة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في «الاتقان» وقد ذكر انه قيل له اتقرا بغير لغة قومك يا رسول الله فقال انها لغة اخوالي بني سعد ومع هذا فان النطق بها لا ينافي خط المصحف وكل ما لا ينافي خط المصحف لا تمتنع القراءة به كما نقل الأستاذ اتفاق القراء والفقهاء عليه فكراهة مالك التي لم نرها لغير الأستاذ ان سلمنا انها لا نسلم عانتها التي تخيلها وتقول ما كانت الكراهة الا لندرتها وكونها غير لغة قريش اما التعليل باعتقاد ان القراءة بها مبنية على شهوة القاري ورغبته في تجويد لغة قومه اذ كانت

احمد ناصر الدين قاضي الاسكندرية المتوفى بعد الزمخشري بمائة وخمس وخمسين سنة في كتابه «الاتصاف» عند تفسير «الكشاف» لقوله تعالى «وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم» مقنع ومقرع فليراجع رزقنا الله السلامة في الدين والعقل والبدن ما كبس علينا قيد الحياة

وآخر القول هنا ان بدور القراء العدول الذين هم ليسوا عن الحق بهدول متمسكون بقوله تعالى خطابا لرسوله عليه الصلاة والسلام «قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسه» ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم»

الصفحة السابعة والاربعون

«وقد تسروى قراءات عن النبىء صلى الله عليه وسلم باسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخارى ومسلم واضرابها الا انها لا يجوز لغير من سمعها من النبىء صلى الله عليه وسلم القراءة بها لانها غير متواترة النقل فلا يترك المتواتر وقد اصطلح المفسرون على ان يطلقوا عليها قراءة النبىء صلى الله عليه وسلم لانها غير منتسبة الى احد من ائمة الرواية في القراءات ويكثر ذكر هذا النوع في تفسير محمد بن جرير الطبرى وفي الكشاف وفي المحرر الوجيز لابن عطية فلا تحسبوا انهم ارادوا بنسبتها الى النبىء صلى الله عليه وسلم انها وحدها الماثورة عنه»

قال بعض الناقدين هذا غير متوهم من المسلمين فاولى ان لا يكون محسوبا فالنهي عنه لغو وانا احيب بانه احتياط وتحذير وخوف من الوقوع في محذور قد يدفع بصاحبه الى ان يوسم بالردة والعياذ بالله على القول بان لازم القول يعد قولا وان كان هذا المذهب غير مشهور كما قرر في فن العقائد اذ مما يقدح في صحة العقيدة ان ما نحن عليه الآن في قراءتنا المشهورة لا صلة له بالنبىء صلى الله عليه وسلم على ان الفائدة قد تتوفر لحديثي العهد بالاسلام وقديما

قد قيل ان السلامة من سلمى وجارتها ان لا تحل بحال حول واديا فرجو من المنتقد الاول ان يقنع فيقطع وممن لا يرى رايه لكنه راي فيما ذكره الاستاذ وجها آخر للاعتراض وهو توجيه غضب الناس الى ابن جرير والزمخشري وابن عطية على سوء التعبير المحوج الى حمل كلامهم على غير الظاهر واني لما سمعت منه هذا اثبت على الاول وقلت ان بعض الشر أهون من بعض

« ولا ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون » قرا نافع بضم الصاد وقرا حمزة بكسر الصاد فالاولى بمعنى يصدون غيرهم عن الايمان والثانية بمعنى صدودهم في انفسهم وكل المعنيين حاصل منهم »

ان ما ذكره الاستاذ في بيان معنى يصدون على القراءتين غير صحيح ومنقوض بكلام المفسرين العظامين ابن عطية وصاحب الكشاف المنقول عن المفسر ابن حزم مـ لما له من غير ترجيح لاحد القولين فقراءة الضم معناها يعرضون وقراءة الكسر يشجون ويضحكون فيصدون حيثئذ في الآية قاصر غير متعد على كلا القراءتين خلافا للاستاذ في تعديته على قراءة الضم وبيان معناه على قراءة الكسر هذا بالنسبة لمقتضى معنى الآية اما اللغة فيجوز استعمال يصد بالضم قاصرا ومتعديا

الصفحة الخمسون

« وعندي انه ان كان حديث عمر وهشام بن حكيم قد حسن افصح راويه عن مقصد عمر فيما حدث به بان لا يكون مرويا بالمعنى مع اخلاق بالمقصود انه يحتمل ان يرجع الى ترتيب آي السور بان يكون هشام قرا سورة الفرقان على غير الترتيب الذي قرا به عمر فتكون تلك رخصة لهم في ان يحفظوا سور القرآن بدون تعيين ترتيب الآيات من السورة »

هذا شك وتشكيك فيما اتفق عليه الخمسة والثلاثون علما على الاقل الموزعة اقوالهم على هذا العدد والمنية على اعتقاد صحة افصح راوى الحديث وحسنه وقد تكون اشياء الاقوال المذكورة فوق هذا العدد باعتبار ان بعض الاقوال بالخمسة والخمسة والثلاثين يتبعه اثنان او اكثر ثم اذا اعتبرنا انضمام القائلين بانه من المشكلات المفوضين غلظه الى خالق الكائنات تعاضم العدد وقد كل الاكثر عن شرح الحديث بما تطمئن له النفس وفوض الآخر ومع هذا لم يتجاسروا على الطعن فيها بقادح وقد ذكر صاحب مناهل العرفان ان حديث نزول القرآن على سبعة احرف مروى عن عشرين صحابيا منهم الجلفاء الاربعة اليس في هذا دليل قاطع على سلامتها وفي « الاتقان » للامام السيوطي وفيما تقدم عن مناهل العرفان للعلامة الزرقاني ما يدفع شك الاستاذ وتشكيكه فكان جديرا بنا ان لا نبدي في شأنها الراى الفطير وان لا نجازف في التعبير تصريحا او تلويحا واما رجوع الحديث الى ترتيب آي السور وتفسيره به آي فهو ابعد الاقوال الثلاثة المنتقة من الخمسة والثلاثين واقربها الى الاشكال والايراد والفرق أمين من الفجر الصادق لنبى البصر الحديد واقل ما

يقال فيه كيف يكون الترتيب في السور التي عدد آياتها دون السبع كسور - الابر - والعصر - والاخلاص ثم يقال ان هذا الفهم يؤدي الى ان الحديث منسوخ ولو كان محكما لظهر اثره في خط المصحف العثماني ولم يقل بهذا النسخ احد من علماء الحديث المتكلمين عليه فلو احتسب احد الاقوال المنتقاة المعزوة لاولئك التقاة او التفويض لكان الكلام احلى وترك الابتكار اغلى واعلى والله يهدي من يشاء الى سراط مستقيم

« ومن الناس من يظن ان المراد بالسبع في الحديث ما يطابق القراءات السبع التي اشتهرت بين اهل فن القراءات وذلك غلط ولم يقله احد من اهل العلم واجمع العلماء على خلافه كما قال ابو شامة فان احصا القراءات في سبع لم يدل عليه دليل ولكنه امر حصل اما بدون قصد او بقصد التيمن بعدد السبعة او بقصد ايها ان هذه السبعة هي المرادة من الحديث تنويها بشأنها بين العامة »

غفر الله لابي شامة في تجويز الاحتمال الثاني والثالث فانه يلزم عليهما اعتقاد رقة الدين فيمن حصروها في السبعة لان الحصر المبني منهم على ما ذكره شبه تلاعب بالقراءات والقراء ان لم يكن الحامل على هذا الحصر قصد اصابة الحق وانما هو ضرب من التصنع مذهب بتدجيل فهذا العدد حيثد مبني على شفا حرف هار . ومن العجب ان يمر عليه المولعون بالانتساب الى التحقيق والابتكار . بدون هدم او انكار وكان حال القراء في مثل هذا قائل -

سم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
اللهم سن لحومهم من المضغ كما صنعت كلامك هذا وقد اطلعت بعد ان سوت
ما سلف على ان ابا شامة لم يقله وانما نسب اليه سوء فهمي لكلام الاستاذ والعذر
عند كرام الناس مقبول

الصفحة الاثنان والخمسون

« واما ما خالف الوجوه الصحيحة في العربية ففيه نظر قوى لانا لا ثقة لنا بانحصار فصيح كلام العرب فيما صار الى نحة البصرة وانكوفة وبهذا ينطل كثيرا مما زيفه الزخشرى من القراءات بعله انها جرت على وجوه ضعيفة في العربية لا سيما ما كان منه في قراءة مشهورة كقراءة عبد الله بن عامر . وكذلك زين لكثير من المبشرين قتل اولادهم شركائهم » بناء زين للمفعول وبرفع قتل ونصب

اولادهم وخفض شركايم»

موجب التعلييل بعدة تعويض لفظة الصلحية بالقلظة المشهورة كي يسلقيم لنا هذا الابطال وندخل قراءة ابن عامر في العربية الصلحية التي لم تشهر اما بدون هذا الليليل فانه لا يمكن الابطال فيحل محله اللاليل والحكم على قراءة ابن عامر بفساد عربيتها في نظر الزمخشري لا بضعفها فحسب

الصفحة الخامسة والخمسون

«امتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله» نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين «فعلمنا من قوله احسن القصص ان سباق القصص القرآنية لم يكن مساق الاحماض وتجديد النشاط وما يحصل من استغراب مبلغ تلك اللوالل من خير او شر لان غرض القرآن اسمى واعلى من هذا ولو كان كذلك لسوى كثيرا من قصص الاخبار الحسنلة الصالقة بما كان جديرا باللفصيل على كل جنس القصص وابصر اهل العلم ان ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنتها القصص من عواقب الخير او الشر ولا على حصول الللنويه باصحاب تلك القصص في عناية الله بهم او الللنويه باصحابها فيما لقوة من غضب الله عليهم كما تقف عنده افهام الللنوعين بظواهر الاشياء واوايلها بل الغرض من ذلك اسمى واجل»

اعظم ما في قصص القرآن ما نفاه الاستاذ صورة او حقرة ولو لم تحو الا المحقر عنده فقط لكان كثيرا لكن الاستاذ لم يقنع ما اقتصر عليه الللنوعون اللذين انحطت همهم عن بلوغ الللريا في نظره وقد استغفر عظيما الى ان افضى به هذا الاستغفار الى ما ياباه الالاب حيث قال ولو كان كذلك لسوى كثيرا من قصص الاخبار الحسنلة الصالقة اللل فحل تفوقها بالاعجاز وتقويتها لقلب الرسول واتباعها وتهليلها للبعثتين من اعدائه والايقان بانها من عند الله لا يرغمها عن الللوسيلة بغيرها ويجعلها اعلى منها لفظا ومعنى فرحم الله من قال - ومن البرما يكون عقوقا - وسامح ابا الطيب في قوله -

اذا باريت في شرف مسروم فلا تقنع بما دون النجوم
فانها وان كانت جارية ان مجرى الامثال فلطالما قدت بحمياها اعناق الرجال
ومن عجائب هذا البيت علمه فرقان مختلفان ذوقا وسعيا احدهما اهل

الزهد والقناعة والآخر اهل الحرص والطاعة فالاولون عاملون بها في التحلي
بالكمالات النفيسة الباقية ذخائرهم وابتغاء ما عند الله بالطاعة والجلود بالحقوق .
والآخرون مولعون بالحطام وابتغاء ما عند الناس من ثناء والاسراف فيما فيه رياء
وسمعة وعقوق . هذا وانى رايت بعض القانعين بالاعتصام على ما ذكروا من البيان
لفوائد قصص القرآن رايتهم مسوقين بغرض شريف وهو الاقتداء بقوله جل
شانه وتعالى سلطانه « لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فقتنوا بذكرها فلا
ينبغي ان ينسبوا الى مهانة النفس ويوجه اليهم لفح التطاول المدفوع بالغرور
والاعجاب . ويتوب الله على من تاب .

الصفحة السادسة والخمسون

« الفائدة الاولى ان قصارى علم اهل الكتاب في ذلك العصر كان معرفة اخبار
الانبياء وامامهم واخبار من جاورهم من الامم فكان اشتمال القرآن على تلك القصص
التي لا يعلمها الا الراسخون في العلم من اهل الكتاب تحديا عظيما لاهل الكتاب
وتعجيزا لهم بقطع حججهم على المسلمين قال تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فكان حيلة القرآن بسبب ذلك احفاء
بان يوصفوا بالعلم الذي وصفت به اخبار اليهود وبذلك انقطعت صفة الامية عن
المسلمين في نظري اليهود وانقطعت السنة المعرضين بهم بانهم امة جاهلية وهذه فائدة
لم يبينها من سلفنا من المفسرين

في كلام الاستاذ محذوف لا بد من اعتباره ليعص كلامه اذ يؤدي عدم تقدير
المحذوف الى بطلانه لانه لم يطلع على جميع التفاسير وان كانت خزائنه صانها الله
عامرة بما للنو طاب من مملوك ومستعار في حكمه كشرح الميرزوقي على ديوان
الحامسة مثلا واذا عارض احد في هذا وقال انه مطلع على جميع التفاسير وان مكتبته
مشملة على كل مطبوع منها ومخطوط فاقنا نرده الى الصواب بقول الاستاذ نفسه
المتضمن انه لم يطلع على تفسير احكام القرآن لصاحبه اسماعيل بن اسحاق بن حماد
المالكي المشهور مع اصحاب الهمم العالية من المفسرين كما ذكر بصفحة اربعة وسبعين
من هذه المقدمات التفسيرية وبهذا تبطل دعوى هذا المعارض ان الاستاذ اطلع
على جميع التفاسير ولهذا نفى عنها التعرض الى ما ذكره مختطبا ونسبته لنا الى
الاعتساق في البحث لا دليل عليه فاي حرج اذا قلنا انه اراد ان يختم كلامه عن
الفائدة الاولى بقوله « فيما اطلعنا عليه » فقل فلا شك انها مرادة له قطعا وان

ضرب المعارضون عرض الحائط بكلامنا فإله حسيهم ثم ان اختصاص الاستاذ بذكر
هاته الفائدة بالنسبة للمفسرين قد يكون واقعا اما بالنسبة الى غيرهم من العلماء فلا
فأنهم ذكروا من اوجه الاعجاز اخبار الغيبة التي اطلع على بعضها اهل الكتاب
واسلمها بعضهم بلسانه وقلبه وبعضهم بقلبه فقط وفي ذلك اجمال لما افصح عنه الاستاذ
فله فضل الافصاح

« الفائدة الثالثة ما فيها من فائدة التاريخ من معرفة ترتب المسببات على اسبابها
في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الامة وتحذر قال تعالى « فنلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا »

كنت جالسا بزواية باحدى الاماكن العامة اطالع هاته المقدمات فباغت للفائدة
الثالثة منها فاذا شاب حاد النظر لا اظنه يتجاوز الثلاثين يجلس قريبا مني وجهه مقلق
في الكتاب ثم قال ما تطالع فاريت اسم الكتاب فقال اسمعني منه فقلت طالع بنفسك
فتناول وقال معتزا انه نال العالمية الزيتونية منذ ستين فتشألت عنه بالحريرة الى ان
اتممتها فرجعت الى قائلنا انه طالع مقدمة القصص كلها فكان جميع ما فيها معرفة
التاريخ لذاته وللاعتبار به فني نتيجة في التكثير من المفتوح به وغيره فقلت لست
المؤلف وان ايت الا الجواب فنزلها شرحا للعبارة وايضا لها فقال انه لا يرى ذلك
لمن يريد ان يسلك سبيل الاختصار ويذكر ما لا بد منه فقلت له لا بأس في سلوك
المؤلف فانشد

وعين الرضى عن كل عيب كيلة كما ان عين السخط تبدي المساويا
فانشدت قوله : - وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
فاحتد قائلا ألم تعلم ان الشهادة الكبرى بيدي فقلت قد عامت يا بني واسأل الله لي
ولك الوقاية من الحدة والتسرع والاعجاب فقال دعنا من الدعاء فلسنا في الحماة
فقلت لاضر فانه سميع قريب فظهر البشر عليه وقال دعنا من هذا ما ترى في سياسة
المؤلف وهل انت من اشباعه فقلت اني من اشباعه ونسوا اليه الاستعاذة من السياسة
وما اشتق منها وان حظي فيها تفهم أخبارها واباية السباحة فيما لا يعود علي بخير
في اخراي ولا يستقر بي على القصد والكفاف في دنيائي الى ان يبلغ الكتاب اجله فقد
كبر السن ووهن العظم ولا ازبدك فقال احسنت في هذا لان اصحاب العمائم لا
يتقنونها فقلت لا تاثير للشباب على التفكير والنيات والاعمال فاتركوا الفضول تستريحوا
وتريحوا واحترموا اصحاب القلوب السليمة والاعمال القويمة من متعمد الرعوس
او من امة المجوس واتخذت في معاملة الناس غير هذا المنهج فقد اخذت الكتاب

بعض محاملته واعدته بغير شكر وحاورت بغير ادب وحقرت اصحاب العمائم وانا
من عامتهم فوقف قائلاً اسرفت ايها الشيخ في التعنيف وسوء الظن اليسوا اولياء
نعمتي ورافعي حبالتي واسباب التحلي بعالميتي فاني لا اريد التعميم ولا اقصد التريم
ثم ودعني بادب طالب الفجران معتذراً عن الحدة والطفان يسر الله له من الخير ما
اراد ووقفه الى سبل الرشيد والسداد وبعد فقد سالت عنه من يعرفه فاجبرني بانه
من نوابغ من اتجتههم « الصادقية » وانه محام متربص بالقانونين وانه لا علاقة له
بعالمية الجامع الاعظم فقلت في نفسي غفر الله له تلك القرية وذلك العنف ورحم الله
من قال : - وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جازمه العذاب

الصفحة السابعة والخمسون

« الفائدة الثامنة ان ينشئ في المسلمين همّة السعي الى سيادة العالم كما ساءه
امم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليهم العرب اذ رضوا من العزة
باغتيال بعضهم بعضاً فكان منتهى السيد منهم ان يغنم سرية ومتبهي اهل العامي ان
يراضي غنيمة »

معاذ الله ان قصص القرآن ليس فيها ما نسب الاستاذ اليه وان كره ذلك اصحاب
الفكر الجديد فهي لا تبث في المسلمين الا الزهد ولا تدفعهم الا لاصلاح النفوس
وتقويم النيات والاعمال وقد عافوا بها الجشع والشره والحرص والرفاهية والتنافس
في الدنياوات والتكاثر منها والتعالى واشربت قلوبهم حب السعي في رضاء من
يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين نعم ورد في كلامه تعالى انه اعزهم
او يميزهم فمن ذلك « والله العزة لرسوله وللمؤمنين » ومنه « وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
ولنمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » فاقادوا لمراد
الله وبكروا رقايبهم من حكم الظالمين الضالين المضلين من عبدة الاصنام والنيران
وادخلوا دين الله في قلوب الغافلين عن هداية الاسلام وحاربوا اعداءه الباذلين
جهنم في اركاسه وتعطيل دعوته وجعلوها مملكة لنفوسهم اذ وقفوها على خدمة
تلك الدعوة قبلوها ما اقدرهم الله عليه ولم يزاخروا من انتصروا عليهم الا في مكارم
الإخلاق التي بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتتميمها فبقى عزهم في شموخه
وغنموانه ما بقيت صبايتهم في رضاء الله ولما تحول جهنم الى الدنيا وعضوا عليها
بالنواذج وصارت غايتهم اخذ ذلك العز في التدلى الى ان صرنا الى ما نحن عليه
فصدق علينا قوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا »

بأنفسهم». فالقصص القرآنية لم تطبع في نفوس المسلمين نهمة الهيتلريين
والموسوليين كما يشمه كلام الأستاذ والذي حمل المسلمين على بذل ارواحهم في اصلاح
الارض حسيا ومعنويا قصد شريف ساقهم اليه القرآن وتعاليم سيد ولد عدنان

الصفحة الثامنة والخمسون

« وفيما ذكرنا ما يدفع عنكم هاجس اياته خطر لكثير من اهل اليقين
والمتشككين وهو ان يقال لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود
منها وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة وربما تطرق هذا الهاجس لبعضهم
الى مناهج الاحاد في القرآن»

هذا الهاجس لا يدفع بما ذكره الأستاذ قبل ولا بما سيذكره بعد بالنسبة
للمتشككين لوضوح الامر وظهور الفائدة في التكرار الا ان مرض قلوبهم يحملهم
على تحسين القبيح وتقيح الحسن وتكلف المطاعن ليشككوا غيرهم او ينعثوا بالذكاء
والتمحيص او يعذروا في دهرتهم الحقيقية او المتكلفة فهؤلاء لا دواء لهم الا ما يقذفه
الله في قلوبهم من نور واتا واصحاب اليقين فقصاراهم ان تشرح صدورهم ويزدادوا
ايمانا ومحال ان يفقدوا عند جهلهم اطمئنانا او تستفزهم حيرة فيتقلدوا عوضا
كفرانا

الصفحة التاسعة والخمسون

« الخامس ان تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها باساليب مختلفة
ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها اذخر » سئلت عن
معنى الجملتين الاخيرتين فتجرت ثم اطمانت نفسي الى ان اقول ان الاستاذ ربما
اراد ان القصة المذكورة في موضعين او مواضع قد يحذف منها في موضع ما يذكر بها
وهي في موضع آخر والمأمول اني لا بست الصواب واحسن الجواب والا فسي
الاجر الواحد خير كثير لمن يقنع ودليل على صحة بياني ما ذكره بعد وهو قوله
فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع ويذكر آخر في موضع آخر

« فهذه حقايق سمحت بها القرينة وربما كانت بعض معانيها في كلام
السابقين غير ضريحة »

كان الأستاذ يشير بهذا الى الاستاذين المرحومين محمد عبده مفتي مصر

المشهور ورشيد رضا صاحب مجلة المنار فانهما جالا في الموضوع جولة فسيحة ولا
اتيقن انها كانت منهما معا او من احدهما فقد طال الزمان وتعمرت المراجعة
فودعناها توديع ابن زيدون لولادة معتذرين عن الوصال بما اعتذر به اذ قال
ولا اختيارا تجنبناك عن كئيب لكن عدتنا على كره عوادينا

صفحة ستين

و تسمية هذه الاجزاء آيات هو من مبتكرات القرآن قال تعالى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وقال كتاب احكمت آياته ثم فصلت وانشأ
سميت آية لانها دليل على انها موحى بها من عند الله الى النبي صلى الله عليه
وسلم لانها تشتمل على ما هو من الحد الاعلى في بلاغة نظم الكلام ولانها لوقوعها
مع غيرها من الآيات جعلت دليلا على ان القرآن منزل من عند الله وليس من
تأليف البشر اذ قد تحدى النبي به صلى الله عليه وسلم اهل الفصاحة والبلاغة
من اهل اللسان العربي فمعجزوا عن تأليف مثل سورة من سورة فلذا لا يحق ان
يسمى جل التوراة والا تنجیل آيات اذ ليست فيها هذه الخصوصية في اللغة العبرانية
واما ما ورد في حديث رجم اليهوديين الذين زنيا من قول الراوى « فوضع السدي
نشر التوراة بده على آية الرجم » فذلك تعبير غلب على لسان الراوى على وجه
التشبيه لها بجمل القرآن اذ ام يجد لها اسما يعبر به عنها »

يتبادر الى الذهن ان قول الراوى فوضع الذى نشر التوراة يده على آية
الرجم يتبادر انه اعتقد صحة التعبير عنها بآية تعبيرا حقيقيا لانها من عند الله بواسطة
كليمه موسى عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء الصلاة والسلام او مجازيا على وجه
التشبيه لها بآية القرآن اما التعليل بانه لم يجد طريقا للتعبير غير ذلك فقد يقال
لصاحبه قد حجرت واسعا وضيق فسيحا ليس في امكان الراوى ان يقول على
كلمة الرجم او كلام الرجم او كلمات الرجم اذ الرواة لا يصلون في المعنى الى
فهاهة باقل ولو بلغوا فيه ما بلغوا فكيف وهم اقرب البلاغة وفسانها المبرزون
ونطاحل البيان فسبحان الملك الديان

الصفحة الواحدة والستون

وقال ابو بكر ابن العربي « وتحديد الآية من معضلات القرآن فمن آياته »

طويل وقصير ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي الى تمام الكلام وقال الرخشي الآيات « علم توقفي » فاما ما اختلف السلف فيه من عدد آيات القرآن بناء على الاختلاف في نهاية بعضها فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرواية كما قدمنا انفا وقد يكون بعضه عن اختلاف في الاجتهاد »

الاحتمال الثاني غير صحيح الا اذا اراد الاستاذ الاحتمال العقلي المجرد عن القرينة وهو عدم وجود الرواية في تحديد البداية والنهاية اصلا او ضياعها والاول ممنوع لاقتضائه التقصير في التبليغ والثاني مثله لاقتضائه تقصير الصحابة في حفظ ذلك المبلغ

الصفحة الثانية والستون

« وعلى ترتيب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حفظ القرآن كل من حفظه كلا او بعضا وليس لهم اصل في ذلك الا ما عرفوا به من قوة الحواظ ولم يكونوا يعتمدون على الكتابة وانما كان كتاب الوحي يكتبون ما انزل من القرآن باذن النبي صلى الله عليه وسلم ولعل حكمة ذلك ان يرجع اليه المسلمون عندما يحدث لهم شك او نسيان ولكن ذلك لم يقع

جرت عادة التعبير العربي في مثل هذا الترجي ان يبقى على خفاء في الحكمة وهو هنا امر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة ما يوحى اليه من الذكر الحكيم ولا يحسن الترجي هنا لوضوح الحكمة في الامر بالكتابة بالنسبة للمرسِل اليهم اما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد عصمه الله من نسيان القرآن عصمة مستفادة من قوله تعالى « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله » فالصواب في التعبير اسقاط لفظ الترجي من الجملة بعدة او عدم ذكر الجملة لان معناها معلوم بالضرورة

الصفحة الخامسة والستون

« ومنهم من رتب على حسب الطول والقصر وكذلك كان مصحف ابي وابن مسعود فكانا ابتداء بالقرة ثم النساء ثم آل عمران وعلى هذه الطريقة امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف المدعو بالامام

لم ينقل الاستاذ ما يفيد ان الخليفة امر بترتيب السور على منجهما اذ لو امر بذلك لكانت سورة النساء في مصاحفنا بين البقرة وآل عمران لابعدها فهل يجوز

الاستاذ اعطيل الصحابين امر الخليفة او لا يرى ذلك ويقول ان التغيير وقع فيما بعد من العصور وان مصاحفنا اليوم على خلاف ترتيب المصحف الامام وهذا بعيد جدا او مستحيل شرعا وعادة لانه حدث عظيم فلا يمكن ان يقابله علماء الدين والتاريخ بالاغضاء فما هو الرأي حيثئذ ثم لو كان الامر متعلقا بسورة النساء وحدها لاستجدنا التكلف واحتملنا مشقة التاويل في نسج جواب مهمل كبيت العنكبوت كي يصح كلام الاستاذ لكن الامر يتعلق بعدد كثير من السور قدمت في المصحف الخاص على ما يطولها ففي الرقيم الاول قدمت « المائدة » على « الانعام » وفي الرقيم الثاني قدموا يونس على « هود » وفي الثالث قدموا مريم على « طه » والفرقان على الشعراء و « السجدة » على الاحزاب وفي الرقيم الرابع قدمت « الفاشية » على « الفجر » و « الانقطاع » على « التطفيف » وبهذا يتبين ان نسبة الترتيب على حسب الطول والقصر الى امر عثمان رضي الله عنه لا يؤيده نقل ولا يوافق عليه عقل

الصفحة السادسة والستون

« عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهي من المثنى والى براءة وهي من المئين فقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوهما في السبع الطوال فقال عثمان كان رسول الله مما ياتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الاقوال من اوائل ما انزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطوال »

يظهر ان مراد الاستاذ بسوق ما ساقه عن الترمذي عن ابن عباس اقامة الدليل على دعوى امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف الامام علي مصحفى ابي وابن مسعود رضي الله عنهما ولكن ما ساقه غير مقيم لهاته الدعوى وغاية ما يفيد هذا النقل بيان سبب سقوط السملة من اول « براءة » وهو اعتبارها تنمة لبويرة « الاقوال » لا غير واحسن ما يجاب به عنه ان يقال ان وقوع المنقول عن ابن عباس اثر الدعوى على امير المؤمنين عثمان لا يقصده بايدها وانما هو محرج داقتضاب ولعله

يرضى بهذا بعد التأمل والفحولة والسيان من شأن الانسان هذا وقد شككت في
كلمتي « مما » هل هما اثر تحريف من الناسخ الاول لكتاب الترمذي المنقول عنه
كلام ابن عباس او من بعض الناسخين بعدا وسبب الشك ان الحيار والمجور لا
تتوقف صحة الكلام عليهما وفي سقوطهما دفع غموض واشكال وقد اثبت الف
الرحمان تقليدا للاستاذ حتى لا اغير خطه كيفما كان ولولا قصد المحافظة عليهما
لحذفها لوجوب سقوطها في الرسم التوقيفي والقياسي عند وجودها في البسملية
فليتأمل

« وقال ابن بطال لا نعلم احدا قال بوجوب القراءة على ترتيب السور في
المصحف بل يجوز ان تقرا الكهف قبل البقرة واما ما جاء عن السلف في النهي عن
قراءة القرآن منكسا فالمراد منه ان يقرأ من آخر السورة الى اولها انتهى »

في ترتيب السور على ما هو معلوم من مصاحفنا اختلاف على ما ذكر في
الاتقان وما ذكر عن الباقلاني وابن عطية وغيرهما ونقله الاستاذ والذي يظهر
بل يتحقق ان الخلاف دائر بين كونه من الرسول عليه الصلاة والسلام او من
الصحابة المكلفين بترتيب المصحف الامام بادارة كاتب الوحي زيد بن ثابت رضى الله
عنهم او بعضه منه صلى الله عليه وسلم وهو ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصل
وما عداه منهم وعليه فلا شك في ان الترتيب شرعي ومقصود وثمررة وحى او
اجتهاد نخبة من اصحابه مختارة من خليفته الثالث فاذا قدرنا جواز - التكتيس خشينا
ان يتعش ابليس . اذ لا فائدة في الترتيب ولا ثمرة في التزامه فكلام ابن بطال
الذي يظهر من الاستاذ اعتماده لذكره اثر كلام عائشة رضى الله عنها ولحم
الموضوع به باطل ان اراد بالجواز استواء الطرفين لانقى الوجوب فقط وهو
الظاهر وما ساقه عنها مرويا عن البخاري قد يكون قبل حضور المصحف الامام
على ان منهجي مالك وابي حنيفة يكرهانه ولا ادري هل غيرهما مثلهما او يحترمه
واذا كان الحال هكذا فالواجب ترك نقل كلام ابن بطال رحمه الله او تعقبه بالبحث
والتمحيص كما فعل مع ابن رشد والشاطبي وعبد الحكيم والالوسي والسيوطي لكن
الايان بالنادر محبوب وان كان غير مطلوب

الصفحة السابعة والستون

« والظاهر ان الصحابة سموها بما حفظوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
او اخذوا لها اشهر الاسماء التي كان الناس يعرفونها بها ولو كانت التسمية غير

ما ثورة فقد سمى ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنك كما مرقتين أن تكون التسمية من وضعه واسماء السور اما ان تكون باوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد واما ان تكون بالاضافة لشيء اختصت بذكره نحو سورة لقمان ويوسف والبقرة، واما بالاضافة لما كان ذكره فيها اوفى نحو سورة هود وسورة ابراهيم واما بالاضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة وسورة حم عسق وسورة حم السجدة كذا اسماء بعض اهل السلف وسورة فاطر وسموا جميع السور المفتحة بكلمة حم وال خاميم .

واحسب ان المحابة لم يثبتوا بالمصحف اسماء السور بل اكتفوا بآيات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفعل بين السورتين وانما فعلوا ذلك كراهة ان يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنية فاحتاروا البسملة لانها تجمع معاني حسنة مع كونها آية من القرآن »

التسوية بين احتمال ان التسمية ما ثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وبين كونها ما ثورة عن مطلق الناس لا تطمئن اليه النفس لان ناس ذلك العصر لم تعهم الصحبة واكثرهم عوام فلا تعتمد عليهم الصحابة ولا يصح تنزيل الصحابة منسلة من يقلدون عن غير مستند متين ومن اذا قيل لهم عن شيء قالوه او فعلوه « ما سندكم » قالوا قال الناس فقلنا او فعلوا فقلنا « فهم فوق ما نحن عليه بكثير وتسمية ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنك لا ينافي ما قلناه لانه من اعيان الصحابة وعلمائهم وقول الاستاذ « واما بالاضافة الخ » غير مفهوم الا عند خذف كلمتي « او في » فلعلها سبق قلم دفع اليه الاسراع وقوله « حم السجدة » غلط او سبق قلم ايضا لان هذه السورة لم تكن من القسم الذي عطف عليه بل من القسم الذي قبله لانها ذكر فيها قوله تعالى « واسجدوا » الآية حيث يطلب عندها السجود ونسبة التسمية الى اهل السلف غير مسلم لانها وقعت من بعضهم لامن بعض اهلهم كما في « الاتقان » وانما قلنا هذا لانها لم تقع مضافة لكلمة بعد فاتحتها كـ « حم عسق » ومما يلفت النظر حسان الاستاذ ان الصحابة لم يثبتوا بالمصحف اسماء السور وتعليقه لذلك مشكل فان في كون البسملة آية خلافا بين الصحابة انبيى عليه خلاف بين الائمة ولم تتفق الصحابة على قرآنتها الا في سورة « النمل » فكان على الاستاذ ان لا يغفل هذا حتى لا يستشكل المالكيون كراهتها في صلاة الفرض ثم عدم اثبات الصحابة اسماء السور في المصحف لا يسلم الا بالنقل لان الاصل ان لا يرسم فيه بعد اقراضهم الا ما اثبتوه فانهم الامم الاسلامية بالتناطوء على المخالفة في مثل هذا مدعاة للشك فيما هو اهم ولسنا في حاجة الى هذا

الخبان الحلي من الجدوى ولا محذور في اعتقاد ان ذكر اسم السورة في المصحف من وضع الصحابة رضوا ان الله عليهم اجمعين

الصفحة الواحدة والسبعون

« مثال ذلك ما رواه ابو سعيد بن المعلى قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في الصلاة فلم اجه فلما فرغت اقبلت اليه فقال ما منعك ان تجيبني فقلت يا رسول الله كنت اصلى قال لم يقل الله تعالى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم فلا شك ان المعنى المسوقة فيه الآية هو الاستجابة بمعنى الامثال كقولهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح وان المراد من الدعوة الهداية كقوله يدعون الى الخير وقد تعلق فعل دعاكم بقوله لما يحييكم اي لما فيها صلاحكم غير ان لفظ الاستجابة لما كان صالحا للحمل على المعنى الحقيقي ايضا وهو اجابة النداء حمل النبي الآية على ذلك في المقام الصالح له بقطع النظر عن المتعلق وهو لما يحييكم »

اننى اقسم بالله انه لو صدر هذا من المفسرين ابن جرير . والقرطبي وصاحب الكشاف والرازي وابن عطية وابن جزى والالوسى والبضاوى وغيرهم لاستعدنا بالله عند سماعه وعدنا تكليفهم لنا باعتقاده من البلاء المبين وحوالنا واسترجعنا وهممنا ان نضرب به الهواء ونلحقه بالهاء ولكن الله سلم وعندئذ فلا اقل من ان نقول عش رجيا ترجيا يحمل الرسول عليه الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه صاحبه الجليل وهو ابى بن كعب على الاشهر او سعيد بن المعلى على ما ذكر الاستاذ ان يلقى من لفظ القرآن ما يقوم به معناه الظاهر او الخفى وان يشتت شمل كلام الله فيحذف منه تقديرا اربع كلمات بل ستاليقهم ان الدعاء في الآية مراد به الذب لا الارشاد وان الاستجابة مراد بها الاجابة باللفظ كقولهم او بالفعل وهى الاقبال على المنادى وان الصحابي لا يمكن ان ينزل على مراد الرسول من الآية الا بتقدير « لما يحييكم » معدوما كي ينال المرغوب فيه من الفهم سبحانه الله فما لنا ولهذا التكلف الثقيل والمرعى الويل واي مانع من ان نقول غفل عن الآية او لم يفهم ولكنه فهم المعنى الظاهري وهو الامثال عند دلالة لهم على الخير ولم يحضره الخفى عند المناداة لغيبوبة قلبه في الصلاة والرسول عليه الصلاة والسلام يبين له المعنى الخفى بالنسبة للمبادر وان هذا المعنى الخفى مستفاد من الآية ومملول لها بنون قطع وصل وتقدير بعض الناطها معدوما وقد قال الله تعالى

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً المفهوم منه ان دعاءه لهم دلالة على
حسن واجابتهم له طاعة لله وان لم يكن هذا المفهوم صريحاً فلا اقل من ان يكون
استفاداً بطريق الاشارة وقد ذكر الفقهاء ان اجابته صلى الله عليه وسلم في الصلاة لا تبطلها
اجبت على المعلي بمعنى لا يخفى على السبب هذا وقد ذكر في مطالعة كلام الاستاذ في هذا
الموضوع حكاية مرت عليها السنون وهي ان رجلاً صلى العصر باحد الجواهر ثم رأى فقيراً يلقى
درساً فسأله هل له ان يصلي فقال الفقيه لا تصل بعد العصر وقبل المغرب فضلاً
تطلى آخر فقال له اما سمعت قوله تعالى « فويل للمعتدين » فزجره ذلك الفقيه
بقوله لا لزوم لهذا الخط فقد اجبت بما فيه مقم فالزم السكوت فرد عليه بقوله
اجبت

بما تحسنه من علم الفقه وانا اجبت بما احسن من علم البلاغة التي يجب فيه
الاعتناء المتضمني الحال فقلت ما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائجة وما ضرنا لو
كانت الهداية والنداء صالحان ان يتعلق بهما لما يحييكم ، وان نداء الرسول هداية
واجبت بمشال ولو تغايرا مفهوماً وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه ائب

الصفحة الثانية والسبعون

ويؤخذ في تفسيرنا هذا اذا ذكرنا معين فصاعداً فذلك على هذا القانون
والا تركنا معنى مما حمل بعض المفسرين عليه في آيات القرآن فليس تركنا اياه دالا
على ابطاله ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره وقد يكون اكتفاء بذكره في تفاسير
اخرى فجنبنا للاطالة فان التفاسير اليوم موجودة بين يدي اهل العلم لا يعوزهم
استقرارها ولا تمييز محاملها متى جبروا على هذا القانون

لا شك في ان الاستاذ لا يريد بمسلكه المبتكر ايقاع من سيطالعون تفسيره في
خرج ولكنهم سيقعون فيه بالفعل لان من يرى في كلامه معنى اقتصر هو عليه
ولم يلاحظ غيره ثم جدته نفسه بمعنى آخر يصح ان يكون مراد احديثه نفسه
امر فذلك ايضا بشئ آخر وهو هل ان اعراض الاستاذ عنه لبطلان ارادته او
شبهه في الذكر في احديث التفاسير الاخرى وهي كثيرة فيعسر عليه التحرير ويزيد
الطعن فيه وهو حسير وانا لتتوجس خيفة من كلام المؤلف فانه يشعر مطالعي
تفسيره المنتظر بالجزم على حرمانهم من النقل عن بعض ما حوته مكتبته من التفاسير
التي لم يطبع ولم توجد عند خواص العلماء وهي بين يديه وفي كنفه وانا لنا مل
ان وجود علينا في تفسيره تلك الجواهر المكنونة في اسدافها وان لا يعتمد على
اعتقاد امتلاء الايدي بها فانه وهم حمله عليه القياس على نفسه فالحقيقة ان اهل العلم

مفتشرون الى الاطلاع على بعض التفسيرات التي تحويها تلك الخزائنة الكبرى صانها الله بواسطة تفسير الاستاذ لانها اما خاصة به حقيقة واما خاصة به حكما وقد كدح احدهم في استعارة المرزوقي على ديوان الحماسة حتى **كل** ويش لهذا نرجو منه العدول عن هذا السيل وعن هذا الظن ولتتمسك تلقاءه بقول ابي الطيب :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
اذ لا فائدة في ظن الغنى عند الفقر والايثار عند الاعسار ثم اني لا انسى
الاعتذار عن الاستاذ في سلوكي المترقب المبني على كره الاطالة فيما اطال فيه غيره
من سلف المفسرين وخالفهم بانه اراد التفرغ لذكر ما فتح الله به عليه مما اساءوا
فهمه واني اسال الله تعالى ان يطيل عمري حتى اطالع تفسير الاستاذ
وان لحقت بنا ايدي المنايا فكم من حسرة تحت التراب
وفي ختام هذا التعليق نرجو من الاستاذ متعلقين باذياله باكين ومسترحمين
ان لا تكون بدائعه من النوع الذي ذكره في المقدمة الخامسة الذي اخرج به امته
الاجابة من وعيد سورة المائدة بلباقة لا تستغرب من جنباه ولا تفقد عند بابيه

الصفحة الثالثة والسبعون

« فاردت في هذه المقدمة ان اتم بكم المامة ليست كخطرة طيف ولا هي
كاقامة المنتجع في المربع حتى يضله الصيف وانما هي لمحة ترون منها كيف كان
القرآن معجزا وتبجرون منها نواحي اعجازه وما انا بمستقصي دلائل الاعجاز
في احاد الآيات والسور فذلك له معنفاته وكل صغير وكبير مستطر ثم ترون منها
بلاغته القرآن ولطائف ادبه التي لم يتحد بها العرب تحدى اعجاز وانما هي فتح
لفنون رائعة من ادب لغتهم حتى ترون كيف كان هذه القسرة فتح
بصائر وفتح عقول او فتح ممالك وفتح ادب غرض ارتقى به الادب العربي مرتقى
لم يبلغه ادب امة من قبل وكنت ارى الباحثين ممن تقدمني يخططون هذين
الغرضين خلطا وربما اهلوا معظم الفن الثاني وربما المواهب الماما وخططوه بقسم
الاعجاز وهو لما كان امرا مبتكرا لا يصح في حكم العقول ان يقع به التجسدي وان
هذا الفن الثاني هو الذي يحق ان يكون البحث فيه من مقدمات علم التفسير لان
في الاعجاز بعلم اصول الدين اعلق وان علاقة هذه المقدمة بالتفسير هي ان مفسر
القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغا حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملا
على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آية المفسره بمقدار ما تصبو اليه الهمة من

الطريق واختصار فالمرس بحاجة الى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي
وخصائص بلاغته وما فاقت به اي القرآن في ذلك حسبما اشرنا
اليه في المقدمة الثانية لئلا يكون المفسر اذا اعرض عن ذلك بمنزلة المترجم لا
بمنزلة المفسر فمن اعجب ما تراه خلو معظم التفاسير عن الاهتمام بالوصول الى
هذا المرمى الاسمي الا عيون التفاسير فمن مقل مثل معاني القرآن لابي اسحاق
الحاج والمجرب الوحيز للشيخ عبد الحق بن عطية الاندلسي ومن مكسر مثل
الكشاف ولا يجوز في الخلو عن ذلك الا التفاسير التي نحت ناحية خاصة من معاني
القرآن مثل تفاسير احكام القرآن على ان بعض اهل الهمم العالية من اصحاب هذه
التفاسير لم يهمل هذا البلق النفيس كما يصف بعض العلماء كتاب احكام القرآن
لاسماعيل بن اسحاق بن حماد المالكي

توكل من كلام الأستاذ امور لا بد لعابر السبيل من الالتفات اليها بلمحة
وان كان ادون لمحته قصرا عملا بقولهم ما لا يدرك كله لا يترك كله اولها انه
يشير في نوره بيانه على اعجاز القرآن فيتجلى كما يتجلى البدر ليلة اربعة عشر ثانيا
ان محاسن قيمان قسم له دخل في الاعجاز وقسم لا دخل له فيه ثالثا انه لا يذكر
ما له دخل لانه ياتي الخلط والمزج فهو من متعلقات علم العقائد وان ذكره الخالطون
ليس عليه تقليدهم وجعلهم له قدوة رابعها انهم اساءوا في هذا الخلط ولم يحسنوا
قواعد التفریق وانا تلقاه هذا لا يحسن عندي الا ان اصارح الأستاذ بانى وجدت
الشيء بعد التأمل من منطوق هذه المقدمة ومفهومها مثل ما كانت عليه قبلها ان
جرا فمفسر وان شرا فمفسر وبانى لا ارى خيرا في هذا التقسيم ولا مبنى
عليه ولا جدوى فيه فالقرآن معجز بمجموع محاسنه من الفاظ ومعان وهيات
وكنه واليرات في النفوس ربانية تحصل عند تلاوته او استماعه وبان من لم
يسمونها الى ما قسمها الاستاذ واوا ان ذلك اعتناء بحفظ القشور مله عن اغلاء
الباطن واعلاء فان افضل ما تحلى به النفوس البارة الكدح في حمل الناس على العمل
بالله التوبة ببدحه والاعراض عن العمل تخفى كادت الامة ان تشبه من نزل في
تلاوته قوله تعالى « وهم يبهون عنه ويتلون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون
وان بعضهم يؤمن بالتخدير في قوله جل شانہ « فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم عنة او يصيبهم عذاب اليم » اي امر النبي صلى الله عليه وسلم وبعد فان
اول الاستاذ انه سيصير الناظر في محته حالة فتح القرآن للباطن والعقول والممالك
وايجادها اذ غشا ارتقى به الادب العربي جوزه سامعوه ولم ينكر احد منهم انه في
مقدرة الاستاذ اما العالمون به من قبل فقد قال جالهم

وحدثني يا سعد عنهم فزدني هياما فزدني من حديثك يا سعد
واما الجاهلون به وقليل ما هم فهم اليه اشوق وانتق واطلب واطرب واما
قول الاستاذ ان الادب العربي بلغ بالقرءان بلغ درجة لم يبلغها ادب امت من قبل
فهو معلوم ضرورة لان كلام الخالق فوق كلام المخلوقين وما يستمد منه اقوى مما
يستمد من غيره اما الكشف عنمان يطالعون على هذه المقدمة الخامسة كشفا تفصيليا فهو
مستحيل على من لم يعرف جميع اللغات ويطالع على جميع آدابها فالوعد به عندئذ من
اللفو المحمود تركه ثم ان مقت الاستاذ لمن لم يتعرض لدقائق البلاغة ووجوه
الاعجاز من المفسرين وتحقير صنيعهم ونسبتهم لانحطاط الهممة حملنا على الظن
بانه سيأتي بما لم تستطع الاوائل فاذا هو ذاكر ما غلبه منصوص في كتب عياض
والباقلاني والسيوطي وغيرهم واذا مترجم القرآن ابن عباس مبعذ عن المفسرين
ذوى الهمم العلية ودأخل في التراجمة المحقرين وهنا نطلب من الرحمان ان لا يرفع
هممنا حتى تجتاز دائرة الامن فتقع بمخالب الخسران ولنختم هذا التعليق ونقول
ان بعض المفسرين كابن عباس وذو الجلالين وابن جزى والقرطبي والخصاص
وابن العربي والحازن والرازي والالوسي وغيرهم ممن لم يتعرضوا لما يريد
الاستاذ ان يجعلوه نصب اعينهم قد اقتصروا على بيان ما في قدرهم مؤملين ان يكمل
ما فاتهم من ياتي بعدهم وبكفيهم فخرا دينويا واخرويا توجه نفوسهم الى خدمة
كلام الله وان قصروا في نظري الاستاذ وسموا تراجمة فلا ضير والممول ان يجازوا
بالجزيل من الجليل وخلص ائمة والبناء على غير الدينيات ينفع العباد ويشرق المعاد
الصفحة السادسة والسبعون

« هذا ملاك الاعجاز بحسب ما انتهى اليه استقراره اجمالا ولناخذ في
شي من تفصيل ذلك وتمثيله »

لا يسعنا هنا الا شكر الاستاذ اذ ذهب مذهب المفسرين وسلك سلوكهم في
بحث الاعجاز بعدما اتقده بانهم ادخلوا في التفسير بحث ما يجب ان يناط بعلم
العقائد لانه اعلق بها من يعلم التفسير فهو رجوع عملي وهو ابلغ من القولي
واجدى منه لكن هذا لا يمنعنا من عتابه على التفسير في التوسع بالكلام على
المحاسن القرآنية صاحبة الاولوية بالذكر في علم التفسير وذكر الفروق بينها
وبين ما وقع به التحدي بالحد الجامع المانع او الحزر على الاقل ولعل السر في
الترك ان جلها في علم البديع وهو معزوف ممن تاهلوا لمطالعة التفسير فاحالهم
عليه باشارة ربما كانت ارق من النسيم واعذب من التسليم يغش فيها كنفاء الطبع

وهم لا يشعرون وفي خلاصة ما ذكره القاضيان عياض والباقلاني في كتابيهما الشفاء والاعجاز كفاية لعلها تواردت عليها الحواطر فوسعها استقراؤه

« قد خضوا من بين الامم بقوة الذهر وشدة الحافظة وفصاحة اللسان وتبيان المعاني فلا يستعصب عليهم سابق من المعاني ولا يجمع بهم عسير من المقامات »

تخصيصهم بهاتين وادعاء انهما لا يقويان في غيرهما من الامم قوتها فيهم لا يقبل الا بتوقيف من معصوم واما غيره فلا لان استقصاء جميع الامم والموازنة بينهم والحجزم بان الله لم يمنحهم ما منح العرب متعذر لسببين احدهما قصر الاعمار عن ان تسم الاطلاع على جميع مواهب من في الارض وتقويمها ثانيهما ان النبوغ المدهش ظاهر في كثير من الامم الذين ليسوا بعرب وهذا الاعتراض نوجهه على الاستناد اشد منه على غيره لانه ممن ارتفعت همهم العلية لتنوير الفكر الجديد وهو لا يقبل مثل هذا وربما كنت من انصاره فيه مع اني من صميم العرب ولست شعوبيا ولكني اخشى اذا استمررتا في تيهنا واعجابنا وأطلاق العنان للاستئناس ان يصدق علينا قول ابي الطيب

وعلاج العقول اعسر برا حيث تعتل من علاج الجسوم

« قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »

ظننت اولا حتم المقدمات بهذه الآية ثم قلت في نفسي لعله سقط منها شيء في المطبعة اوضاع لانه بقى على الاستاد الوفاء بما وعده في صفحة ٧٣ حيث قال فاردت ان الم بكم المامة الى آخر ما قال ولانه جرت العادة في التأليف ان تختتم بالصلاة والسلام والحمد لحاق الانام ثم قلت لعله سها فاقصر واراد ان يحجب فاعتمر وبينما انا مفكر اقلب الارراق فاذا بصري واقم على هذه العبارة « بقية المقدمة العاشرة تاتي في صفحات موالية » فقلت لمن حولى الآن تحقيق النقص فهل يقع الوفاء الذي هو من اخص شيم الاستاذ وابرزها واشهرها او تحول دونها الغفلة وعدم التذكير فصاح بي مستعم شبه متجسس قائلا : ما هذه المماكة ؟ فهل يجب على الاستاد ان يؤلف لتستفيدوا فقلت لم اقل هذا وانما شككت في انجاز الوعد فقال ما احراك بان لا تتجاوز منزلة من تلتطف في انجازه قائلا لمن وعده

وانى جدير ان بلغت بك المنى وانت بما املت منك جدير

فان تولني منك الجميل فاهله والا فاني عاذر وشكور

فقلت يا اخي ان قائلهما مادي وكف النفس عن النهمة المادية مرغوب فيهما

اما النعمة العلمية فمحمودة فقال قد استقدت من المقدمات ما يساوي ثمنها مائة
مرة قلت بل اكثر لانها اهدت الي وسا نزل على رغبتك وآمل ان ينتهي انتظاري
بقول الحريري

انجز حرما وعـــــد وسح خال اذ رءـــــد

لا بقول الآخر

اماني من الي حسان كانما سقتنا بها ليلي على ضما بردا
منى ان تكن حقا احسن المنى والا فقد عشنا زما رغدا

كما اني ارجو من الله الظفر بمحاضرات الشيخ العلامة عبدالعزيز جابوش
رحمه الله في الموضوع الذي وعد به الاستاذ واغفله لا تسلي بها مدة الانتظار ثم
فليعلم الناقمون اني معترف بضعف جهدي وقصوري عن بلوغ عشر العشر من
رتبة من اردتها بتقدي ولكنني شيتت واكتنلت وشخت ولما بقول النظام عفى
الله عنه لا ينبغي للمرء ان يصغر عن ان يقول ولا ان يكبر عن ان يقال له فلذلك
لم اكثرت بقول البعض عندما سمع صدى « البشر في نقد المقدمات العشر »
ابن البرغوث من الفيل والقمرة من النيل والدردانيل اذ لا عار على مرید محاوره
لاعلام بعد ما شغله طلب القوت عن التحصيل على ما تزينوا به من دروياقوت والناس
في ميدان الطلب سابق ولا حق وساقط ولا فخر عند العقلاء الا بما يقرب من الله: قال
تعالى « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا مئام الغرور
ورحم الله من قال

وكل وجد ان حظ لا ثبات له فان معناه في التحقيق فقدان

هذا وانني ارجو من الاستاذ اجلي الله ان لا يواخذني بما جاش به صدرى
واعتقدتها حقا وليذكر في التماس العذر قول اهم دار الهجرة كلکم راد و مردود عليه
الا صاحب هاتى الحجرة كتيبه بيده الفانية فقير ربه واسير ذنبه وختمه يوم الجمعة
باسع رمضان سنة ١٣٧٢ مؤلف عثمان بن منصور غفر الله له ولوالديه واخوانه
المؤمنين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بقية من بعض الواجبات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فاني لم اجد بدا تلقاء الحاح
الاصدقاء من نشر هاته القصيدة التي كنت قدمتها لاحدى المجلات التونسية مهتئا فيها
من تقلد واخطا شرعية كبرى وهم العلماء الاعلام ساداتنا صالح الملقني والطاهر
ابن العاشور وعبد العزيز جعيط والناحي بن مراد ومحمد عباس ومعرضا بسخافة من
تصدى للطعن في الجامع الاعظم وتعاليمه والمتسبين اليه في الجرائد الافرنجية قاصدا
الشهرة والتحقير والتفجير وختمتها بالقات نظر الملك الذي هو من اعظم نعم الله على الخضر
حفظه الله من كل بلاء الى تسهيل امر الغسل على طلبة العلم وقد قدمتها بواسطة
احد فضلاء المدرسين فرفضها ثم ردها على لاسباب منها ان المجلة لا تنشر لغير
مدرسي الطبقة العليا وانها تشتم منها رائحة الرجعية والنفور من التغير المعزوم عليه
والاساءة الى نصير الفكر الجديد الطاعن المحقر المنفر القرب عندهما ولو كان امر
المجلة بيد مديريها الظاهر المجازي لما بخل بالنشر ولكن امرها بيد المديرين الحقيقيين
التوارين خلفه وقد قبلنا العذر المفهوم رغما عنا وهذا نص القصيدة :

مجد البلاد اذا طلبت متونه	فتش تجده بجامع الزيتونة
لم تنخل يا اهل افريقية	ما شاء ربك ان يدير عيونه
قد فاض غوثا بالهداية والتقى	صان الاله شروحه ومتونه
وادى الرياح الهوج نورا ما اختفى	مستخرجا من بحره مكنونه
ياقى الايمان الى الذي يجتازه	مما يعطى نفسه وسفينه
لكن محجوب البصيرة راكب	عمياء يامل ان تطيل قرونيه
يا ويله مستقفا ابنائه	اخزى المهيمن دسه وطنيه
وازداد قمعا اذ تولى امره	شيخ يجمل كهمله وجنيه
فيه من الحزم الصريح لبابه	ومن النزاهة يستمد معينه
بحر له في ككل علم رتبة	بالنقد تنخل غنه وسمينه
زان ابن عاشور مراتب جمته	والعلم يرقم الفه وقرينه
يا طاهرا حظ بالرعاية جامعها	حتى يلبس فرضه مسنونه

لولاك لاجتاحته فرقة صالح
اغرى به الديوان سابق فضله
بشارك يا عبد العزيز بخطاة
واذا اختصرت اقول مثلك بيتنا
وكذلك الناجي وعباسي فقد
وطن اراد الله احسانا له
فاختار من خير الافاضل خمسة
شملتهم البركات عند رضائه
يامن به امن البلاد مقارن
حلم من المولى ولطف بارز
تلميذ علم الدين من مرغوبه
ما دام اجر الفصل حتما بذله
فاختر وعاك الله خير طريقة
خير المكاسب ما يقدم حازم

رجل يمهّد سله وحزونه
فشقى التثقل شوقه وحنيه
وبجهن مرن يمد يمينه
نيل يفيض على البلاد معينه
طفحا بفضل املا تدوينه
فهدي الامير معزه وامينه
ركبوا النهي وسيصدقون ظنونه
صان المهيمن جمعه وبنيه
والهول ادبر واسترد رنيه
ما شاء ربك ان يطيل سنيه
امر فروضه تقنضي تكوينه
يشدد عره او يوهن دينه
مثلي تريح غناه وانينه
من سعيه يرجو السعادة دونه



اصلاح الخطا

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٦	٣	اقعمل	افتعال	٣٣	١٤	استعبادا	استعبادا
٦	٨	بن	ابن	٣٣	٢٠	الميون	اليوب
٦	٩	حتد	يعتد	٣٥	١	حضره	حذره
٧	١٠	سنة	سنة	٣٥	٤	يتطلب	بطلب
٨	٢٣	وفي رأي	وانا ارى	٣٥	٢٩	ذكرى	ذكر
١٢	١١	حنبل ولا	حنبل عجب ولا	٣٦	١٢	العلماء	العلماء
١٤	٢٦	تزيلها	تزيلها	٣٧	٢	بدن	بدون
١٤	٦	اخبار	اخبارا	٣٧	٩	اكتو	اكتوا
١٩	٢٠	واليتربس	وليتربس	٣٧	٢٣	الحديث	الحديث
٢٠	١٤	لتين	لتين			وقدما واعداء واعداء	
٢١	٢٥	يرفع	يرجع	٣٩	١	شاء	شاء
٢٤	٢٥	الا	لا	٣٩	٩	شغفى	شغفن
٢٧	٨	نظرا	نظار	٤٠	٥	الذين هادوا	الذين هادوا
٢٨	١٤	للامتين	للامين	٤٠	٨	والانف	والانف
٢٨	١٨	اليتم	اليتيم	٤٠	١٠	بما في يديه من	بما بين يديه
٣٠	١٢	ذكر صار	ذكر ان صار			من التورية	من التورية
٣١	٢٠	فاذ	فاذا	٤١	١	مجرحا	مجرحا
٣٢	٢	التى	ابتلى	٤١	١٦	وتقليد	وتقليدا
٣٢	٣	ابتى	التي	٤٢	٣	وضعف	وضعفا
٣٢	٢	للاافع	للمنافع	٤٣	١٤	قروا	قروا

صفحة	سطر	خطا	صواب	صفحة	سطر	خطا	صواب
٤٧	١٣	المبلى	المبنى	٥١	١٧	الدنياويات	الدينويات
٤٧	١٢	تجوزة	تجوزة	٥١	٢١	وليمكن	وليمكنن
٤٧	١٦	الا	الى	٥٢	١٣	واصحاب	اصحاب
٤٧	٢٦	ثبر	لكثير	٦٠	٢٧	في	فن
٤٧	٢٦	المشركين	المشركين	٦١	٢٥	بنهون	ينهون
٤٨	٢٦	جارية ان بحرى	جارية بحرى	٦٢	٢٠	استقراؤا	استقراؤنا
٤٨	٢٥	تقم	تقنم	٦٤	٧	حقا احسن	حقا كن احسن
٤٨	٢٧	اليث عقله	اليث ان علقه	٦٤	١١	عفى	عفا
٤٩	٣	ولآخرون	والآخرون	٦٤	١٧	الحنة	الجنة
٤٩	٢٧	الاعتساق	الاعتساف	٦٥	٥	العاشور	عاشور

